حب مع سبق الإصرار و الترصد

للكاتبة/هند رشيد

حب مع سبق الإصرار والترصد

تأليف: هند رشيد

تدقيق لغوي: أحمد وجدي

نبذة عن الكاتبة

هند رشيد، كاتبة من مواليد القاهرة عام 1989. درست الفنون والتصميم، مع تخصص في الديكور والتصميم الداخلي. تمتلك شغفًا بالكتابة منذ نعومة أظافرها، وشاركت في كتاب منزل رقم 11 بقصتها تذكرة ذهاب وعودة.

مقدمة

ولأني أحبه وأعشقه بصدق وشغف، سيظل هو الرجل الأجمل، ففي أصله الطيب وحسن خلقه وتقوى قلبه آيات من الجمال.. وفي هيئته الشاهقة عزة وشموخ وظل دافئ حنون على قطه وعلى من حوله.. في عرض عضلاته، حماية وأمن وأمان، فلا يرعب سوى العدو الحاسد.. وفي سعة صدره وضلوعه وندبة بطنه، مساحة لقلبه الجميل الذي تزيّن بعمق التدبر والحكمة والنقاء والتقوى واللين.. وفي هندام ملبسه واختيارات ألوانه، فن ولياقة ملك ملوك كل الزمكان.. اللهم بارك!!

.. ففي تلك الحواجب التي عندما تقتضب قد ترهب البعض، لكن بحقيقتها هيبة مقاتل وجاذبية راقية لا مثيل لها.. وفي نظرته الثاقبة التي ترمي الكاره بسهامها وتحتضن أمه برقتها ورفقها، بريق وضّاء

يؤجج دهشتي وعشقي وولَهي به.. وفي دقة خلق الله باتساع ابتسامته المبهجة وتفاصيل ضحكته الجميلة، حتى شاربه ولحيته وأسِنانه ومنحنيات أنفه، اكتمال لبديع خلق الله في تفاصيله.. سبحان الله، خلق فأبدع!! سبحانه تفنّن في خلق كمال قيم الرجولة في معشوقي!!! سبحان الله، نحت جمال القلب والقالب فيه!! سبحان الله، خلق فزرع حبه في قلبي إلى الأبد، وكأني قطعة من قلبه وضلعه وروحه!!!

ونعم، سأظل أصفه بأجمل الكلمات لأنه يستحقها عن جدارة، بلا منازع أو منافس.. نعم، سأظل أحبه وأعشقه وأهواه.. نعم، أعده!!"

.. إلى الأبد.. نعم، للأبد!!

(2)

البداية..

نعم، البدايات دومًا صدفة..

في السنين الأكثر ظلمة بمراحل حياتي، كدتُ أهلك بعدما اعتاد وخزي الخذلان، فترك دمي بين صفحات الهجر والغدر والنسيان حتى شعرتُ بطعنات القسوة تخترق أحشائي من كل حدبٍ وصوب، بلا ذنبٍ يُذكر..

وفي ذروة الألم، يا عزيزي، قد تتمنى الخلاص من العمق الأعمق في قلبك بلا ندمٍ ولا تراجع..

أما القدر، فكان له رأيٌ آخر!!

في أحد الأيام الباهتة، تمدد جسدي مستسلمًا على أريكته العريضة التي ضجرت من ثقلي والفوضى بساحة سكونه، تصفحتُ— كالعادة—منشورات الفيسبوك والإنستجرام، آملة أن ألتقي فيها ما يبث

الحياة في أيامي المتكررة، فلسبب لا أذكره وكأنني متُّ وبُعثتُ من جديد بلمح البصر، وجدتني بين منشورات حساب أحدهم؛ رجلٌ وسيم ذو هيبة وجاذبية لا مثيل لها..

ممم.. غريبة!! فلم أعتد أن ألتفت كثيرًا لمظاهر البشر، لكنه لفت انتباهي بشدة حتى تعجبتُ من نفسي للوهلة الأولى، فغضضتُ البصر في تعفف، خجلةً من انبهارٍ جَمٍّ أصاب قلبي، وكدتُ أرحل عن حسابه، لكن وقعت عيناي على كلماتٍ في بعض منشوراته، مما أجّج بداخلي الفضول لمعرفة تلك الشخصية الأنيقة، العميقة، والمبهجة..

وكلما توغلتُ في صفحته ومحتواها، حتى تجاوزتُ تواريخ اليوم والبارحة والعام الماضي، انتابني شعورٌ بالألفة والأُنس والدفء، فكل مقطع فيديو، وكل صورة، وكل كلمة كتبها، كان لها وقعٌ خاص بين جوانحي، كأنني قلتها ذات مرة، أو قرأتها يومًا في كتاب أحد الحكماء

أو الفلاسفة المتدبرين في الدين والدنيا، فآمنتُ بعمقها وقيمها ومعانيها..

نعم، اجتمعت السطور في منشوراته وطبعت بصمةً غائرة حميدة بأعماقي، فبدوتُ مثل الطفل الذي يتعلم الحروف الأبجدية لأول مرة في سنوات عمره الأولى..

نعم، مع كل كلمة، كنتُ أولد من جديد..

فاق شعوري بذلك الشخص كل الحدود المعقولة، كأنما تواصلت روحي بروحه بشكلٍ ما، فتكررت زياراته لأحلامي الأزهى بين ساعات منامي، حتى بتُّ أتابع منشورات صفحته كل يومٍ وكل ساعة، وبدوتُ مهووسةً بكل ما يتعلق به، حتى أزياؤه وروتين حياته وأعماله الفنية، فازدحمت تعليقات منشوراته بقلوبي وتعليقاتي،

وفاضت فرحتي بعدما اكتشفتُ—بعد تدقيق بسيط—أنه أحد المشاهير الذين شاركوا بأحد الأفلام المحببة لقلبي منذ أيام الجامعة،

وقبل أن يغيّر بعض تفاصيل هيئته الحالية..

ممم.. ماذا بعد، يا (عمرو الهادي)؟

دفعني عشقي له إلى جنونٍ أكبر، عندما فاجأني برسالته الممتنة لمشاركتي أحد منشوراته على صفحتي الخاصة، تلك التي علقتُ عليها ببعض كلمات المدح المستحقة في وصفه..

حينها تلهفتُ لأرد على رسالته المحملة بكل خُلق العالم ولباقته، لكن تسارعت دقات قلبي حتى كدتُ أفقد الوعي، وأصابني عجزٌ غريبٌ في قدرتي على الثرثرة المعتادة، لأبتلع كل الكلمات المنطوقة والمذكورة في قاموس ذاكرتي وسنين تعليمي الطويلة، حتى أنهيتُ نوبة هلعي بكتابة بعض الكلمات المتلعثمة شاكرةً رسالته المسموعة..

ممم.. ما أعجب الأقدار!!

فلطالما سخرتُ من كل مهووسٍ بفنانٍ ولاعب كرةٍ ومشهور، حتى بتُّ

أكثرهم هوسًا وجنونًا حين تمنيتُ من القدر أن تجمعني به الأماكن يومًا، أو ربما أتزوجه.. نعم، ربما هو فتى أحلامي؛ الأمير الأعزب الذي يبحث عن الحب الحقيقي مثلي؟

يا إلهي.. ما هذا الجنون؟!!!

لكن رغم ذلك، لم تفلتني تلك الفكرة الأخيرة، فسكنت صلواتي وابتهالات قيام ليلي، حتى قررتُ أن أواجه الواقع من جديد، وقد أعانني (عمرو) دون عمدٍ أن أتخلى عن مساكن الظلمة في الأيام الخوالي، فعدتُ—أخيرًا—إلى طبيعتي المبهجة، المتفائلة، خفيفة الظل..

نعم، تعافيتُ بسبب ذلك القوي، الجميل، التقي، الراقي، الذي زرع بداخلي الثقة في البشر بعدما اقتلعها القاسي والدنيء..

نعم، أعترف أنه أتقى وأنقى القلوب، وخير البشر..

لذا لم أنسَ (عمرو)، ولم أحاول للحظة، فكان تعلق قلبي بروحه أكبر

من السلوى والسلوان، لكني فقط أحطتُ نفسي عنوةً بكل أبعاد الواقع الصلبة، حتى لا أهلك بين سماوات الأماني الجميلة وأسقط شهيدةً على أرض الخوف من الحلم الزاهي..

أما القدر، فكان له رأيٌ آخر..

فنعم، التقينا..

عبر الأثير.. صباح يوم الأحد 9/10..

«أكيد بتهزري طبعًا!!»

«بقولك والله.. والله!! أنتِ بتعبدي البقر يا ليلى؟!!»

«ليه؟ أنتِ شايفاني أكاااشاا من الهند يا هند؟ ههه!!»

«لا، أنتِ بنت خالتي حبيبتي الألَّاااشة يا بغااشة!!»

«ههه!! طب هدنة بقى، وما دام بنتكلم جد، تفتكري إيه اللي ينقل

برنس عايش في المعادي لمنطقة زي عندك؟»

«أولًا اتكلمي عدل عن منطقتي، ثانيًا معرفش.. ههه!!»

«تفتكري هربان من جريمة تلاحقه مثلًا؟»

«تلاحقه و"مثلًا" كمان؟!! خيالك أووفر زيك.. أكيد لأ، وسيبي مناخيرك في وشك شوية!!»

ضحكت ليلى منها، فاستطردت:

«طب وأنتِ؟ قوليلي، هتعملي إيه في حب العمر اللي بقى جارك والباب في الباب من إمبارح؟»

تنهدت المسؤولة ثم أجابت بنبرة يائسة:

«ولا أي حاجة؛ صباح الخير يا جاري، أنت في حالك وأنا في حالي.. أنتِ عارفة إني خايبة وهتكسف أسلم عليه حتى لو من بعيد لبعيد..»

(9)

«أستغفر الله العظيم وأتوب إليه، طب قولي له كل سنة وأنت طيب!! ده عيد ميلاده.. يا بنتي اتدردحي شوية، وما تضيعيهوش زي ما ضاعت منك كل حاجة قبل كده!!»

قالت الأخيرة بعفوية وحماس، لم تقصد منهما فتح أبواب الماضي الأليم، فاحتد صوت هند التي علقت:

«إحم.. معلش، أنا محتاجة أقفل معاكي دلوقتي، ماما عايزاني أساعدها في المطبخ..»

حينها أدركت بنت الخالة الجُرم غير المتعمد الذي فعلته بقلب قريبتها، فقالت في حرج:

«والله ما قصدتِ يا هند، أنا آسفة__»

«مش عايزة أسمع "آسف" تاني؛ كل اللي وجعوني اعتذروا وخلقوا أعذارًا وحُججًا مالهاش حدود..»

«..»

(10)

«بس أنا مسامحاكي عشان عارفة إنك عبيطة، ما تقصديش فعلًا.. اقفلي بقى عشان الأكل بجد هيتحرق على النار..»

«حاضر.. ماشي، بس لسه للحديث بقية.. بحبك!! باي!!»

انقطع الاتصال لتلملم الأخرى أشلاء قلبها المطعون بسيفٍ أبله حلق بالسماء فسقط بالموضع الخطأ، بلا نيةٍ للقتل، لكنها نزفت على إثره، فانهمرت دموعها حتى احتضنتها أمها، دالفةً:

«ما تزعليش يا بنتي!! كل الوحش بيعدي، وهتنسي والله.. بس إدي فرصة لقلبك يحس بالحلو..»

التفتت الابنة إلى أمها، مجففة دموعها، وقالت:

«عندك حق، وهو حلو أوي أوي يا ماما!!»

«هو مين ده؟»

«ههه!! اللي على النار.. الرز بلبن.. ههه!!»

(11)

هرولت الأم إلى البوتاجاز لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، بينما رحلت هند إلى غرفتها، فجمعت شعرها البني في صورة كعكة مكتظة بالخصلات، ثم أمسكت مذكراتها واقتلعت منها عددًا كبيرًا من الصفحات، فقذفت بها إلى خارج حدود شرفتها متغنية:

«من النهاردة، هبدأ صفحة جديدة مع الحياة، والماضي خلاص هنساه.. وإيييييه!!»

وبينما هللت الفتاة الثلاثينية وهوت الأوراق واحدة تلو الأخرى على أسفلت الشارع العريض، ألقت ذات الشعر البني نظرة مراقبة لعربة النقل المحملة بالأثاث الثقيل، تلك التي سكنت أمام بوابة العمارة، وقد وقف عمرو مشاهدًا للعمال في حالة هدوء مريب، عندما انشغل الرجال في نقل القطع الأثقل إلى شقته، وتعاون أصغرهم سنًا في حمل الإكسسوارات ووحدات الإضاءة الخفيفة. أما المراقب فتنفس من سيجار غليظ، وقد بدا في حالة تفكير عميق، غير مبالٍ بسقوط تلك

القطعة الأثرية من بين ذراعي أحد العمال، ذلك الذي تدارك الموقف سريعًا فالتقطها قبل أن يستفز صاحبها ذا الطول الشاهق والعضلات الغليظة.

حدقت هند بعمرو من الدور الأول، فكالمسحورة تخبطت أفكارها بين الحقيقة وعوالم الخيال، حتى بدا لها زيه الأنيق كلوحة فنية، غاصت في ألوانها وخطوطها، أما تلك الرمادية التي خطت لحيته، فكانت أجمل ما زين اللوحة الجميلة. في خضم ذلك الهيام، اعتقدت أنه لا يراها، لكنه فاجأها بانتباه مباغت وقال لها بسخرية وصوت عالٍ متعفف:

«والشارع ذنبه إيه يا آنسة؟ اللي وجعنا، يا بنحرقه، يا بنغرقه، يا بندعي عليه، لكن كده غلط.. ههه!»

فهمت ذات الرداء الأرجواني المقصود بالحديث الأخير، وقد أذاعت أوراقها المنثورة الفوضى على أسفلت الشارع رغم تراكم التراب والحجر

المتناثر في أركانه، لكنها خجلت فاختفت خلف الجدران لوهلة حتى تستر حرجها، ثم ارتدت ثوبًا يناسب الخروج للعيان، فجمعت الأوراق بسرعة. عندها، دنا منها عمرو معلقًا:

«على فكرة، ما قصدتش أحرجك، بس مش عيب نتعلم حاجة حلوة من بعض.. وأكيد في يوم هتعلم منك حاجة..»

«ممم..»

«أنتِ جارتي اللي في الأول.. صح؟»

سقطت الصفحات من بين أناملها المرتعشة بسبب شدة اضطرابها، لكنها أجابت:

«أنا آسفة والله__»

«(آسفة).. ممم.. بجد، اسم حلو وجديد، وبيحل مشاكل كتير أوي لو اتقال في الوقت المناسب..»

(14)

«ههه!! لو بقى..»

ساد بعض الصمت، فحاولت هند الهروب من عيون عمرو التي كادت تخترقها بحثًا عما بين السطور، فردف مقاطعًا محاولتها:

«ده له علاقة بالأوراق دي؟ مذكراتك، مش كده؟»

«إنت عرفت إزاي؟»

«أصلي عملت زيك زمان، بس أنا دفنتها في بير غويط مالوش قرار، عشان تبطل ترجعلي..»

كانت نبرته غليظة، بدت مقتبسة من أحد أفلام الرعب، فاقتبض حاجباه غضبًا، مما أصاب ذات الثوب الأسود بشيء من الخوف رغم الحنان الساكن بين عينيه. وقبل أن توجه له أي سؤال جال في خاطرها، ابتسم وأدار لها ظهره بعدما ناداه أحد العمال، مما دفع الأخرى للهروب إلى مسكنها. وهناك، في قاع البانيو، أغرقت الصفحات بالماء وتركَتها تبلى بلا مبالاة، لتسكن دموعها العزيزة بين

نسيجها، فبئس المثوى الأخير..

مغرب ذات اليوم.. في الشرفة المطلة على الشارع..

تنفست «هند» الهواء الطلق الذي بدا كنسيم حانٍ اشتاقت لعبقه منذ خروجها من قوقعة حزنها، فارتشفت من كوبها الشاي الدافئ وقد أحاطتها الأغاني الكلاسيكية بالسكينة. انتشت ذات الرداء الشتوي الأرجواني، فراقبت ظهور الشفق في انتظار حار للغسق ثم الليل الهادئ. حينها قال صوت بالجوار بعدما رمى بظله في المحيط:

«ممم.. العندليب والست.. والليل وسماه ونجومه وقمره، قمره وسحره.. سبحان الله الخالق الأعظم!»

عرفت ذات الرداء الأرجواني هوية المتحدث بلا شك، وقد كان «عمرو الهادي» الذي استقام في شرفة شقته الملتصقة بسكنها. وقبل أن تختبئ تلك الخجولة، شرع مفتول العضلات في الحديث المباشر

لجارته:

«شكرًا على طبق الرز بلبن اللي بعتهولي مع الولد الصغير، أكلته مع إني ماشي على نظام غذائي معين!»

«آه، ما أنا عارفة الدايت اللي...»

ابتلعت لسانها عندما أدركت أنها على أعتاب فضيحة هوسها بأخباره على موقع الفيسبوك، عندها قالت:

«أقصد إني عارفة إن الدايت متعب، بس الرز بلبن جميل ولذيذ أوي.. عجبك؟»

التفت لها وأطال النظر، ففهمت من تحديقه أنه أساء فهم الكلمات، لأنه اعتاد غزل الفتيات الوقح به. فدلفت محاولة توضيح مقصدها البريء رغم ولهها به:

«معلش، ماما ساعات الرز بلبن بيكلكع منها، وكذا مرة أقولها سيبيني أنا أعمله، ما بترضاش، وحجتها إن دي مملكتها، والست ما بتحسش

إنها ملكة غير لما تعمل كل حاجة بنفسها..»

تبسم الوسيم ذو اللحية التي امتزج بها الرمادي والأسود بتناغم بديع، فقال بعض الكلمات خارج سياق الحديث:

«ابنك قمر ولطيف..»

«ابن مين؟ تقصد «كرم» اللي جاب لك الطبق؟ ده ابن أختي، أنا مش متجوزة..»

ساد شيء من الصمت، حينها استرسل الجار:

«هو عامةً، الرز بلبن تحفة، والملكة مامتك عندها حق.. الراجل كمان ما بيحسش إنه ملك غير لما يشوف الست بتاعته ملكة، ومِلكه لوحده.. المهم، بتعرفي تتطبخي، ولا أكلم مامتك؟ ههه!»

ارتابت من صياغة السؤال الأخير، فسألت بترقب:

«مش فاهمة، تكلمها في إيه بالضبط؟»

(18)

«ههه.. أصلي عايز أعرف مكان السوق في المنطقة.. والسوبر ماركت، والفكهاني، والذي منه.. أكيد اللي بيطبخ بيبقى عارف يروح لهم إزاي.. صح؟»

«آه، فهمتك.. تمام، أنا الصبح هنزل أجيب حاجات للبيت، ولو حابب هعرفك مكا...»

«لأ، أنا عايزك توصّليني، شرح الستات بيتعبني الصراحة؛ تفاصيلكم كتير، وأنا مش عايز غير تيك تاك وبس.. معلش، الغريب أعمى ولو بصيص..»

«بعد الشر عنك!»

كادت تقتلع لسانها من بين أسنانها، وقد أوشك أن يفصح عن عشقها المستتر للحبيب، ذلك الذي بدت نظراته حائرة في حالة تعجب من ردود فعل تلك الجارة غريبة الأطوار. لتنقذها قطته من بين مخالب شكوكه، عندما قاطعتهما قافزةً على كتف صاحبها لتلقي نظرة

على الشارع والجارة والمارة بامتداد عيونها الثاقبة، فدلفت الثلاثينية بصوت طفولي:

«يا خلااصي على السكر!! هي اسمها إيه؟ أنا عندي تلات قطط زيها بس مغلبني..»

«ههه!! هو قط، مش قطقوطة.. وفيٌّ وحنين، وعمره ما غدر ولا خربش.. زيي؛ ما غيرتوش الغابة اللي إحنا عايشين فيها..»

تمعنت «هند» في الكلمات، مدركة أن ما بين السطور كان أعمق من ظاهره، وقد تبدلت ملامح المتحدث لأخرى حملت حزنًا دفينًا. فقطعت صمت الدقائق المؤرق وعلقت:

«يبقى هوريك بكرة بجيب منين أكلهم والرملة وكده.. نتقابل عند بوابة العمارة على الساعة ٧ أو ٨ الصبح مثلًا؟»

«إشمعنى الساعة ٧ أو ٨ يعني؟»

«ده الوقت اللي انت بتبقى فيه أونلاين الصبح بدري بعد ما بتصلي

الفجر و...»

أوشكت أن ترطم رأسها في حافة السور الحديدي للشرفة، فلعنت بلاهتها المندفعة، ثم تداركت الموقف قائلة:

«أقصد، كل الناس أكيد بتفتح النت أول لما بتصحى بدري.. وبما إنك رياضي، فأكيد بتصحى من الفجر مثلًا..»

«طب وعرفتي منين إني بصلي؟ انتي مكشوف عنك الحجاب؟»

كاد يضحك، لكنها علقت:

«آه، أصل وشك منور، اللهم بارك، ومعروفة؛ صلاة الفجر بتنور الوشوش.. صح كده؟»

«ههه!! هههههه!! منطقي برضو.. فعلا بصلي الفجر وبصحى بدري، فيا ريت برضو تعرفيني مكان الجيم اللي في المنطقة، انتي بتروحي؟»

(21)

شعرت ببعض الحرج، وقد زاد وزنها كيلو وآخر في الآونة الأخيرة، لكنها أجابت:

«يعني طياري كده، بروح أطمن على صحابي هناك وبرجع بيتنا.. ما علينا يعني، بس هعرفك مكانه ما تقلقش، أنا دارسة المنطقة كويس..!!»

التفت «عمرو» لذلك المعلق رطبًا على أحبال الغسيل بالركن الأبعد في شرفة «هند»، فقال ساخرًا:

«إيه الورق المنشور عندكم ده؟ دور النشر لو عرفت اللي انتوا عاملينه ده، هيبطلوا ينشروا روايات وكتب..»

وجهت الأخرى انتباهها إلى المشار إليه، فدلفت مصدومة:

«مذكرااااتي؟!! إيه اللي جابها هنا؟»

«مامتك أكيد، ما دام هي اللي بتطبخ، يبقى هي اللي بتغسل وبت...»

(22)

قاطعته وقد ظهر عليها شيء من الضيق، فتساءلت:

«طب إزاي؟!! و.. ليه؟»

«ممم.. عشان الماضي عامل زي قرينك، ما بيستسلمش بسهولة، ولازم تجاهديه عشان تعيشي سالمة من أذاه.. بمناسبة الجهاد والصلاة، فين أقرب مسجد هنا؟»

أشارت سبابتها إلى مئذنة قريبة، وكادت ترحل لعمق غرفتها، لكنه سأل:

«انتي عارفة أنا مين؟»

«طبعًا.. أكيد عارفاك، انت «عمرو الهادي».. هو.. هو ممكن...»

«أوقّع لك أوتوجراف؟»

«لأ، ممكن أقولك كل...»

«لا، أكل إيه؟ كفاية الدايت اللي باظ النهاردة!»

«كل.. كل سنة وانت طيب!!»

ارتفعت درجة حرارة وجنتيها من شدة الخجل، لكنه رمقها بنظرة دافئة جعلتها تطمئن وتهدأ لوهلة، ثم قال:

«على فكرة، أنا كمان عارفك يا «هند»!!»

الساعة الثامنة قبل منتصف الليل .. مساء ذات اليوم في المطبخ ..

مزجت «هند» الينسون بالماء الدافئ لتحضر كوب استرخائها الليلي المعتاد، محدثة بنت خالتها في مكالمة تليفونية:

«طلع يعرفكِ أيتها الكاتبة المغمورة؟»

«ما أنا اتخضيت واستغربت زيكِ كده يا روحي!»

«يا بنتي، إخلصي، عندي شغل يا بطيئة! يعني طلع عارفكِ منين وإزاي؟ شافكِ في أخبار ابحث مع الشرطة مثلاً؟»

«ممم.. لأ يا خفيفة، قال لي إنه سأل البواب عن كل الجيران في العمارة على أساس إني من ضمنهم يعني وكده.. بس اسكتي! ده قلبي كان هيوقف من الخضة.. الحمد لله إنها جت على أد كده!»

تنهدت الثلاثينية، لتستطرد الأخرى:

«أه.. وبعدين؟»

«ولا قبلين يا "ليلى"، هوفي بوعدي له بكرة من باب المساعدة يعني..»

«مش من باب الحب والغرام يعني؟ على ماما يالا؟ ههه!»

«لا، على قريبتي العبيطة اللي أصغر مني بسنة كمان..»

«العمر مجرد رقم، مش ده كلامكِ وكلامه؟»

«أه، طبعاً، كده كده.. المهم النضج، بس إنتي هايفة وتافهة وبرة القاعدة دي أكيد.. ههه!»

(25)

حينها، سمعت «هند» صوت موسيقى صاخبة جداً بالجوار، فتهيأ لها أنه قادم من شقة «عمرو»، لذا استأذنت من «ليلى» لتنهي المكالمة وتهرع إلى شرفة غرفتها..

هناك أنصتت إلى كلمات الأغنية اللاتينية التي كانت تعلم مسبقاً أن «عمرو» من محبي فصيلتها، لكنها لم تفهم كل الكلمات الإسبانية أو الإيطالية المذكورة بين النغمات، وقد بدا المغني ثائراً غاضباً لسبب ما، عندها ظهر مفتول العضلات في زي نومه، فسريعاً اختبأت المتلصصة بين الظلال..

خرج المشهور غاضباً، محدثاً أحدهم عبر الأثير:

«أنا مابشتغلش أفلام مقاولات رخيصة! يعني يا إما العمل يكون بيحترم عقل وأخلاق المشاهد وعقيدته، يا إما بلاش! ومن غير كلام كتير، اسأل عني يا باشا في المجال كله.. سلام عليكم!»

(26)

كاد يقذف محموله إلى هاوية السقوط للشارع، فاحتمر وجهه حتى بدا كالجمر الملتهب الذي لا يطفئه ماء أو كلمة رفق وتعزية. حينها، عادت «هند» متسللة إلى غرفتها بلا نية لإزعاج الجار الثائر..

في السوق، الساعة الثامنة صباحاً..

تجولت «هند» مع «عمرو» صامتة بين الشوارع والأزقة حتى تحفر عناوين الأماكن في ذاكرته، لكنه تأفف بعض الشيء من بطء حركتها على الأسفلت المتعرج، ولم يزل أثر ثورة البارحة عن مزاجه ليقول بكلمات حذرة:

«على فكرة، لازم تتابعي شوية في الجيم! لياقتك محتاجة تتظبط كتير، وأنا عايز أساعدك.. ممكن؟»

لم تتغافل عينا ذات الشعر البني عن لافتات الطريق، فأجابت:

«للأسف، مش هينفع!»

«..»

(27)

«لازم أستشير دكتور السكر بتاعي، لأني عاملة عملية مأثرة على عضم القدم والركبة.. بس خير إن شاء الله!»

شعر الآخر بالحرج من اندفاعه الأخير، ليتنفس بعمق قائلاً:

«أنا آسف..»

«معلش، مابحبش الكلمة دي! على فكرة، الجيم أهو.. فاتح أربعة وعشرين ساعة زي الصيدليات كده.. ههه!»

أشارت إلى إحدى اللافتات التي خطها بالأنوار اسم الصالة الرياضية، فخرج من تحتها عدد من المكبلين بثقل العضلات الضخمة. حينها، رن محمول «عمرو»، فأجاب الخمسيني سريعاً:

«أيوة يا حبيبتي.. يوم الجمعة إن شاء الله، استنيني الساعة أربعة ماتاكلوش من غيري.. سلام مؤقت يا جميلة..»

ثم أرسل لها القبلات، وقد أعلن رحيله عن «هند» بعدما حياها بسلام سريع لم يرق لقلبها الذي تشكك في هوية المتصلة..

(28)

"ترى من تكون تلك الحبيبة؟"

اعتزلت «هند» العالم لعدة أيام كعادة روتين هروبها عندما تحتار أو تحزن أو تتألم، فلم تخرج من غرفتها سوى لتزور المطبخ أو لتقضي حاجتها، لكنها لم تمر بالشرفة مرور الكرام حتى، فاختارت شرنقتها الآمنة بشكل مؤقت..

ورغم ذلك، حاولت أن تسترق البحث حول حوائط الجار الجديد ومنشورات صفحته الأقدم والأحدث، آملة أن تدرك أي طرف من حقيقة تلك الحبيبة المدعوة «جميلة»، لذا قررت أن تحسم الأمر يوم الجمعة المذكورة عبر الأثير..

في صباح اليوم الموعود، وبعد صلاة الجمعة، ارتدت كمامة لتخفي هويتها أو هكذا اعتقدت، فانتظرت تحرك الفنان إلى وجهة مجهولة لتتتبع خطاه خلسة حتى أدرك بوابة إحدى العمائر في "13 ش دجلة، برج العذراء.. المعادي.."

(29)

هناك، اختفى ظله الشاهق بين جدران المبنى بالحي الراقي، وما أن اقتربت «هند» من الحدث حتى ظهر حارس المكان وقد بدت أصوله من الصعيد كما عكست لكنة لسانه، فسأل:

«بتدوري على حاجة يا ست؟»

ازدردت المسئولة ريقها بصعوبة، لكنها أجابت:

«معلش، الغريب أعمى.. بس أنا بدور على حد من سكان العمارة ديه، اسمها.. "جميلة"..»

«ممم.. مفيش حد بالإسم ده في البرج هنا.. هو قالكِ في الدور الكام ولا إيه رقم الشقة؟»

«أصل.. أصل أنا شركة شحن والعربية برة مركونة بعيد، جاية أوصل أوردر كبير لأدوات تجميل، تقريباً اللي طالبه فنان مثلاً أو ميكاب أرتيست أو فاشو___»

«يبقى أكيد تبع بيت أستاذ "عمرو الهادي" الممثل، بس النهاردة

بالذات بيبقوا مانعين أي زيارات في الشقة..»

كادت الغيرة والظنون أن تودي بحياة ذات الشعر البني، فاحتارت فيما عليها فعله، حتى دلفت:

«ما يمكن المدام بتاعته محتاجاها للمناسبة ديه.. ماتقطعش عيشي الله يبارك لك!»

«ههه.. يا ست، مفيش مدام أصلاً! فوق عايشة والدته بس، ويوم الجمعة بيتجمع الأخوات والأولاد عندها.. عامةً، أنا هطلع أقولها، لو تمام هطلعكِ.. استني هنا!»

انتظرت «هند» لحظة رحيل البواب إلى الأدوار العليا حتى تتمكن من الهرب عائدة إلى أدراجها، وقد أحاط قلبها بعض الطمأنينة والسكينة. لكن، ظهرت مَن أشعلت الظنون بداخلها من جديد، فاقتربت شابة عشرينية ممشوقة القوام، شديدة الجمال، من ذوات الشعر الأسود الناعم الطويل، والمتدلي على كتفيها بانسيابية..

(31)

حياها الحارس بحرارة، فحمل عنها صندوقاً ضخماً عندما قالت:

«ديه تورتة عيد ميلاده، كان يوم 10/9 بس ملحوقة أهو وعمالهاله مفاجأة.. هات بنوتك الصغننة يا عم "علي" عشان تحتفلوا معانا..»

رحل الآخرون إلى مرادهم، تاركين المحترقة بغيرتها بين القيل والقال، وقد نسي البواب أمرها، فسألت نفسها:

«مين البنت ديه؟»

في طريق عودة «هند» للمنزل.. العصر.. تأرجحت خطاها في الطرقات وقد أصابتها الأفكار المتخبطة بثمل السكارى، فلم ترغب في رجوع سريع إلى شرنقتها التي تحوي عذابات الماضي بين ذكريات الألم والفراق، لكن ربما عليها أن تقبل الهزيمة برحابة صدر؛ ربما يبيت «عمرو» أقرب الأصدقاء وأصدقهم للأبد، فلم تحتمل تلك النازفة فكرة افتقاده أو فقده..

أرشدتها خطاها التائهة إلى منزل «ليلى»، تلك التي استقبلت وجهها

البائس بالشفقة والتساؤلات، فقالت:

«فيه إيه يا بنتي؟ انتي راجعة من الصحرا مشي؟ إيه العرق ده كله؟ ده احنا حتى خريف و___»

«بطلي رغي وإلحقيني بكوباية عصير عشان مهبطة!!

أسرعت «ليلى» لتلبي الطلب الأخير، فجرعت ذات الشعر البني المشروب الغازي دفعة واحدة بلا اكتراث للسعة فقاعاته في حلقها. حينها أرشدتها الأخرى إلى المجلس القريب بساحة الاستقبال وسألت:

«انتي كنت فين؟»

«عند بيته___»

«بيته؟!! نهارك إسود!!»

«عند بيته مش في بيته يا شارلوك هولمز، اللغة العربية في المدارس الإنترناشونال وضواحيها الفقيرة..»

(33)

«يا حبيبتي برضو ماينفعش.. روحتي تعملي إيه؟»

تنفست المسئولة هواء المحيط وكأنها تشهق لأول مرة، فأجابت:

«روحت أفهم وعرفت إنه تقريبًا متجوز أو مصاحب، حاجة في الرينج ده..»

«لا حول ولا قوة إلا بالله.. ممم.. طب هتعملي إيه؟»

«لسه مش متأكدة بس الأكيد إني مش عايزة أخسره..»

ربّتت بنت الخالة على كتفي «هند» بعدما انساب الدمع على وجنتيها المكلومتين، فترقق صوت الأولى معلقة:

«الأهم هو إنك ماتخسريش نفسك في الرحلة ديه؛ العمر راح منه كتير.. خلي الباقي للي يستحقه؛ صحتك وأهلك وصحابك وقططك وكتاباتك.. بطلتي تكتبي ليه يا «هند»؟ ده انتي موهوبة أوي ومش بقولك كده كقريبة ومدرسة عربي ونحو، لكن كقارئة لـ«طه حسين»

و«المتنبي» و«نجيب محفوظ» و«أحمد خالد توفيق».. انتي محتاجة بس تدي فرصة لنفسك عشان تبقي زيهم يومًا ما.. الهدف بيدي طعم للحياة، فماتوهيش من أهدافك في وسط الوجع والزحمة!!»

لمست الكلمات قلب الكاتبة، تلك التي تركت قريبتها بين جدران منزلها عازمة أن تنفذ الكثير من نصائحها، وأولها أن تتفادى أي لقاء بـ«عمرو» لبرهة؛ ربما ليوم وأسبوع أو أكثر، لكن كالعادة كان للقدر رأي آخر..

ففي مدخل عمارة مسكنها، وقف مفتول العضلات كأنه في حالة تأهب أو انتظار، فأرهب كل المارين من قريب أو بعيد وقد اقتضب حاجبيه وتجهمت ملامحه بشكل مريب..

ترددت الجارة من الاقتراب، لكن لا مفر، فكان ذلك هو المعبر الوحيد للوصول إلى شقتها. لذا تحركت بحرص نحو البوابة حتى ناداها ذو اللحية الرمادية بصوت عالٍ، فمسحت عرق جبهتها وابتلعت

اضطرابها مجيبة نداءه:

«أيوة يا أستاذ «عمرو»، فيه حاجة ولا إيه؟»

«والله؟ آه طبعًا فيه حاجات.. كنت فين؟»

أصاب سؤاله تعجبها، ثم فكرة مزعجة جالت في خاطرها بسرعة لتحدث نفسها: «يا لهوي! لو كان شافني في مدخل البرج ولا البواب هو اللي وصفني له وقدر يتعرف عليا؟ يا نهار أبيض!! أقول إيه ولا أعمل إيه؟»

تمنت أن تنشق الأرض لتبتلعها في تلك اللحظة حتى أردف:

«أقصد كنت فين من يوم الحد اللي فات؟ وإيه الغيبة ديه كلها؟ قلقتيني عليكي.. يا جارتي العزيزة!!»

اطمأن قلبها إثر التوضيح الأخير، فدلفت:

«مشغولة شوية معلش؛ يعني مع ماما شوية ومع قططي وإخواتي

حبة، إن لأحبتك عليك حق.. وانت أكيد لك حبايب وفاهم الموضوع ده.. صح؟»

انتظرت السائلة إجابة ترضيها حول هوية الفتاة ذات الشعر الأسود، لكنه أجاب بهدوء:

«ممم.. آه بس مش إحنا حبايب برضو يا «هند»؟»

-..

كادت الأخرى أن تنهار فلم تفهم سر غموض إجابته اللعوبة وقد ضاقت عيناه المحدقتان بها، ثم استطرد:

«أقصد مش برضو الجيران أحبة؟ ده النبي وصى على سابع جار.. وأنا الباب في الباب، يعني جارك الأول.. يبقى أنا الأولى بالسؤال والاهتمام.. صح كده؟»

«ممم..»

(37)

-..

«حاضر حاضر.. إن شاء الله!!»

تحركت الأخيرة في سرعة رغم آلام قدمها، فاتخذت المصعد وسيلة للوصول السريع إلى شقتها، ثم الركن الأهدأ بغرفتها حيث جمعت صفحات مذكراتها البالية والأوراق الخالية من الحبر، لتبدأ من جديد رحلة الكتابة المنسية منذ شهور..

خطت أولى الصفحات بكلمتين بين قوسين:

(جاري البحث)..

رمقتها القطط الثلاث بنظرة عتاب، فدلفت مقدمة لهم أطباق الطعام الممتلئة بالدراي فود:

«انتوا عارفين إني صاحب صاحبي وعمري ما تخليت عن حد.. أنا بس محتاجة شوية وقت، ممكن يا شحيبر تروح تنونو لعمرو وتفهمه النقطة ديه؟.. انت ما بتردش ليه يا جزمة؟»

لم تكن قططها مجرد كائنات لطيفة أليفة، بل كانوا أصدقاء مقربين، لطالما أنست بهم في لحظات الألم والمرض واليأس والاحتضار..

ونعم، سيظل ذلك القوي الجميل ذو الهيبة مؤنسها الوحيد من بني البشر، كما اعتادت منشوراته أن تفعل قبل أن تلتقيه بين جيرانها.

فكتبت:

«ونعم، أعترف أنني سأظل أحبه وأعشقه بكل ما أوتيت من قلب وعقل، رغماً عن حيرتي وكبريائي..»

مر يوم وآخر بلا محاولة من كلا الجارين أن تجمعهما صدفة في شارع أو شرفة، حتى سمعت هند ذاك الضجيج الخارج من نوافذ شقته، وقد بدا لأغنية إنجليزية معروفة وصاخبة، فارتدت معطفاً ثقيلاً وهرعت إلى الشرفة لتطل على الجار وتتأكد من سلامة أحواله..

هناك في ركن مظلم، تراقص جسد مفتول العضلات مستنشقاً سيجاره بين الظلال، وفي لحظة التقاء نظراتهما، قال:

«يعني لازم أعلّي صوت الأغاني عشان تيجي تسألي عليا؟ ديه المرة التانية على فكرة!»

ابتسم ابتسامة خبيثة، فهمت مغزاها، حينها أردف:

«حلو اللون النبيتي عليكي.. صبغتيه إمتى وفين؟»

«ممم.. يوم الجمعة عند بنت خالتي..»

«هي بتشتغل كوافيرة؟»

ضحكت رغماً عن محاولتها أن تبدو جادة لتجيب:

«هي مهتمة بالموضة وكده زيك.. بس هي أصلاً مدرسة عربي!!»

«يبقى لازم أقابلها..»

«ليه يعني؟»

كانت غيرتها واضحة بين حروف السؤال، ليضحك الآخر متعففاً ثم قال بسرعة:

«أنا عايز أقابل باباكي يا هند!!»

«نعم؟!!»

«ممم.. هو فيه مانع من..؟»

«الحقيقة.. للأسف، فيه مانع أكبر مني ومنك.. عشان بابا متوفي..»

شعر المتحدث بالحزن الكامن في إجابتها، فدلف بكلمات مترددة وقد بدا كأنه يريد أن يتحسس شيئاً ما بردة فعل هند من وقعها:

«يا ستي، اعتبريني زي___»

«مستحيل.. أنا بحب___»

بدا المستمع في حالة تربص وترقب لكلمات هند في تلك اللحظة، لكن سرعان ما أخفت مشاعرها بلياقة ولباقة قائلة:

«أقصد أني أنا بحيييييك على ذوقك وبحترم عرضك، بس مستحيل حد ياخد مكان الأب مهما كانت غلاوتك في قلبي.. وبعدين

انت مش أكبر مني بكتير للدرجة ديه.. والعمر مجرد رقم، معروفة يعني.. ههه!!»

ابتسم القوي محترماً تلطفها، فعلق:

«ماشي، هصدقك بشرط إنك تسمعي كلامي..»

«أكيد هسمع، بس أفهم الأول..»

«نروح لدكتور السكر بتاعك..»

«نروح؟!!»

«آه بالنون زي ما سمعتي.. وهتابع معاكي نظام غذائي ورياضة مناسبة لحالة رجلك.. أوعدك، حياتك هتبقى أجمل وإحنا مع بعض!!»

«..»

«أقصد في ضهر بعض يعني.. ههه!!»

(42)

كانت كلماته دائمًا تحمل شيئًا خفيًا، مبهمًا وغامضًا في جوفها وبين السطور. لم تُطِل (هند) التفكير في مقاصد ما قيل، لكنها وعدته بأن يزورا الطبيب في أقرب وقت ممكن.

وقد كان، ففي اليوم التالي تفاجأت بزيارة (عمرو) لشقتها في بهو الاستقبال بعد تحايل من أمها ودعوة مُصِرّة لشرب الشاي الصباحي معهما. وفي حضرة الكعك وأختيها و(كرم) راقبها الزائر وهي تضيف السكر إلى كوبها، حينها أشار لها خفية بالاكتفاء بمعلقة صغيرة واحدة فقط رغمًا عن إرادتها، لكنها التزمت بوعدها له. وفي خضم حديثه مع أختها الصغيرة ولعبه مع (كرم) ومداعبته لـ(فيفي)؛ القطة الأوفى كما عرفتها، قال لذات الشعر الأحمر:

«اتصلي بالدكتور دلوقتي وحددي معاه معاد النهاردة!!»

«طب بعد__»

«حاالا يا (هند)!!»

انصاعت لأوامره رغم طبيعتها التي تكره التسلط والسيطرة، لكن سعادتها برفقته كانت أكبر من عنادها، فحدد الطبيب موعدًا مبكرًا في ذات اليوم. ذاك الذي هلل فرحًا عند لقاء الفنان المشهور وأخذ يلتقط صور سيلفي معه، مما أثار التأفف في نفس (عمرو) كما عكست عقدة حاجبيه. وبعد ساعات من الثرثرة بين الطرفين؛ الطبيب والمسؤول عن تدريباتها بالفترة التالية، رحل الجاران منهكين من طول الحديث، فعقب مفتول العضلات:

«استعدِ يا حلوة!!»

«ممم.. لإيه بالظبط؟ انتوا – هناك – أكيد كنتم بتقولوا طلاسم بالإنجليزي لدرجة إني شكيت إني اتعلمت في مدارس لغات أساسًا.. ههه!!»

«معلش، الفترة ديه تعالي على نفسك ونفذي من غير أي فهم أو أسئلة.. أنا عارف أنا هعمل إيه، شوية ثقة بقى لو سمحتِ! ههه!»

لم تعترض بكل الحب والرضا على غير عادتها، فبدآ تطبيق توجيهات الطبيب وذهبا إلى الصالة الرياضية في الساعة السابعة بعد المغرب.

هناك، تناقش (عمرو) مع إحدى المدربات الرياضيات، تلك التي لم تقف ثابتة في حديثها مع الحبيب، فتمايل جسدها الممشوق بين الحين والآخر، فداعبت –تارة– خصلات شعرها المجتمع في ضفيرة كثيفة ومسحت عرق جبهتها في دلال وابتسام تارة أخرى، في محاولة مستميتة لجذب انتباهه. حتى كادت غيرة (هند) أن تقتلع قلبها من موقعه بين تلك اللحظات، حينها أنهى الحبيب ذاك الحوار الطويل ودنا من جارته قائلًا:

«خلاص، أنا اتفقت معاها على كل حاجة وهتابع معاها..»

«لأ، هتتابع معايا أنا، أنا المريضة ومحدش يعرف يوصف تعبه غير صاحبه.. وبعدين اتفقت مع المايصة ديه على إيه؟»

«ممم.. طب ممكن تهدي؟»

كان انفعالها مبالغًا فيه، وقد لحظه في احمرار وجهها وأنفاسها المتقطعة، فعقبت:

«واحدة حرباية من اللي شبهها ضيّعت مني (براء) وده كان أول واحد أحبه في حياتي.. خانني عشانها ووجعني وسابني في أكتر وقت كنت محتاجة فيها وقفة الحبيب والأهل؛ وقت العملية الأولى في رجلي، كنت محطمة وتعبانة، وبابا اتوفى بعدها بكام يوم من غير ما أعرف أودعه لأني كنت قعيدة فراش.. راح المستشفى ومات هناك فجأة بالرغم إن الدكاترة كانوا طمّنونا إن حالته استقرت.. الفترة ديه كانت انتكاسة في حياتي، ماعرفتش أقوم منها غير بسبب__»

قاطعتهما إحدى المدربات فوجهت حديثها للأخيرة:

«آنسة (هند)!! كلاس الزومبا هيبدأ بعد خمس دقائق.. الفنان متفق معانا عليه، ياللا؟»

«زومبا؟!! هو أنا هرقص؟»

أجابتها ابتسامة (عمرو)، ذلك الذي دفعها برفق باتجاه المدربة التي جذبت ذراعها، فكادت تحملها عنوة إلى ساحة الرقص المختبئة بين جدران الصالة..

صباح اليوم التالي.. في الشرفة.. وقفت (هند) مواجهة لأشعة الشمس بشكل مباشر، غير مبالية باحتراق أو حمرة قد تصيب بشرتها الرقيقة، فارتشفت بهدوء من كوب القهوة الصباحي، ليفاجئها (عمرو) بحضور سريع قائلًا:

«من غير سكر زي ما اتفقنا.. ها؟»

«حصل.. بس مش عارفة ليه جسمي مكسر من امبارح..»

«عملتي ستريتشات؟»

«اه بس مش أوي.. كنت هلكانة من التنطيط وكسلت شوية..»

«عشان تسمعي كلامي بالحرف بعد كده.. تستاهلي!! ههه!»

ضحكت منه ثم ردفت شاربة من كوب يقظتها:

«عارف أنا بقالي أد إيه مارقصتش؟»

«ممم.. من فرح بنت عمتك مثلًا؟»

«أنا بطلت أروح أفراح من سنين عشان هناك بحس إني غريبة؛ كل الناس بتبقى بترقص وبتنطط وعارفة تفرح مع العروسة والعريس ما عدا أنا.. ببقى قاعدة ساكتة بتفرج على انبساط الناس من غيري.. حتى في فرح أختي، ماعرفتش أكون الأخت الكبيرة اللي بتستقبل الضيوف و___»

«ماتقلقيش يا (هند)!! هخليكي تتشقلبي وتمشي على الحيط قريب.. ههه!!»

«ههه.. إن شاء الله!»

ساد بعض الصمت بين الطرفين، عندها التفت لها الجار فقال متنفسًا بعمق:

«على فكرة، مفيش راجل قوي حقيقي بيستسلم لست مهما كانت مغرية وجذابة غير وهو بكامل إرادته.. و(براء) ضعيف ومحبكيش بجد، يعني لا عزاء ولا بكاء عليه..»

«الحقيقة، أنا سيبته في الماضي خلاص، يعني لا عزاء ولا مسا ولا كلمة كويسة.. ههه!!»

«جامد جدًا.. ياللا إجهزي بقى!! عندك طلعة..»

«مش فاهمة حاجة..»

«عايزك في استشارة فنية كمهندسة ديكور، مش انتي قولتيلي إنك ما خدتيش فرصة كفاية في مجالك؟ يا ستي تعالي هديهالك من دهب، بس في السريع ضروري عشان جايلي ضيف..»

سكتت الثلاثينية للحظة وأخرى متمعنة في الكلمات والحروف، فلم يلفت انتباهها سوى الكلمة الأخيرة: ترى هل هو ضيف حقًا أم ضيفة؟!

حينها قاطع (عمرو) تساؤلاتها الصامتة بإجابة صريحة فدلف:

«فيه حد مهم جايلي النهاردة وأنا عايزك تقابليها..»

لم تُرِد ذات الشعر الأحمر الهرب تلك المرة بعدما أصابها الإصرار على مواجهة الحقيقة كاملة بمقابلة زائرته التي اهتم بكل تفاصيل أركان بيته في مرضاتها، فاستعانت مهندسة الديكور (هند) بالبواب وأولاد الجيران وبعض العمال في ترتيب قطع الأثاث بشكل مختلف، ونسقوا أماكن اللوحات والإكسسوارات برؤية فنية فريدة من نوعها بعدما استرجعت ذكريات دراستها في الجامعة.

بدا (عمرو) سعيدًا جدًا بتلك المساعدة، فلم يعترض على أي تغييرات سوى التعديل الأخير عندما اعتزمت (هند) تغيير مكان إحدى

الصور الكبيرة لوالدته والمعلقة في غرفة نومه، فقال معلقًا:

«ده المكان الأدفأ في الشقة، تمام زي مكان أمي في قلبي بالظبط، ماما غالية عليا أوي.. ديه حاجة تزعلك؟»

عجبت من سؤاله لكنها أجابت:

«أكيد لأ؛ اللي مالوش خير في أهله، مالوش خير في حد..»

«انتي بنت أصول، عشان كده هتحبيها..»

«.. مامتك؟»

«لأ، بس هي الغالية اللي بعد أمي على طول.. ماتستعجليش، هعرفك عليها كمان كام ساعة..»

تمنت العاشقة أن تتبخر تلك الساعات بين اللحظة الراهنة ولحظة لقائها بتلك المجهولة، حينها قاطع أفكارها ذو اللحية الرمادية وقال:

«عايز أنقل التلفزيون من الصالة للبلكونة ونزود زرع وورد في

المكان، إيه رأيك؟»

«آه، أكيد.. بس ليه؟»

«ماتش الزمالك والأهلي النهاردة، عايزك تتفرجي معانا عليه من البلكونة، ماشي؟»

قبلت عرضه لتنهي عملها بين جدران بيته وديكوراته، فتوجهت إلى غرفتها باحثة عن ثوبها المفضل الذي اعتادت أن ترتديه في المناسبات الهامة، وقد اعتزم كبرياؤها أن تكون الأجمل في محيط لقائها بتلك الغالية رغمًا عن غيرتها الغاشمة وحيرتها الشديدة في هويتها.

وفي الساعة السادسة قبل المغرب، وقف (عمرو) مطلًا على الشارع من شرفته، فارتدى قميصًا زاهي الألوان عرفته ذات الشعر الأحمر من صوره بحساب الفيسبوك وأدركها عطره الجذاب من موقعها الأبعد في شرفتها، فاقتربت من الحدث، سائلة بفضول:

«هي لسه ماوصلتش؟»

انتبه لها المسؤول وبنبرة يائسة:

«للأسف مش هتعرف تيجي.. أنا مستني دليفري الأكل عشان أظبط قعدتي قصاد الماتش.. فاضل خمس دقائق ويبدأ..»

لم تصدق السائلة محاولته لإخفاء حزنه الشديد فسألت:

«إنت كويس؟»

«لأ!!»

«ممم.. واضح إنها ست مهمة أوي في حياتك..»

«ماينفعش تبقى مش مهمة، ولو مش هتبقى مهتمة بيا، مين هيهتم يا (هند)؟»

حدق بمحاورته كأنه ينتظر إجابة معينة كادت أن تدلي بها، لكن قاطعها وصول ذلك الظل مصدرًا جلبة في المحيط،

وقد كانت للفتاة صاحبة الشعر الأسود الطويل، تلك التي رمت نفسها في حضن المعشوق بلا حياء وقالت:

«حبيت أعملها لك مفاجأة يا حبيبي ودخلت الشقة بالمفتاح الاحتياطي، ما انت عارفني بحب المقالب.. وحشتني أوي أوي أوي!!»

أخذت تقبله على رأسه ووجنتيه بلا توقف حتى كادت ذات الرداء الوردي أن ترحل، وقد راودتها ذكرى لقائها الأول بالفتاة لكنها كانت مقنعة بكمامتها آنذاك.

نادى (عمرو) جارته بعدما شعر باضطرابها، فقال محتويا العشرينية بين ذراعيه في حنان:

«(هند).. يا جارتي الكريمة!! ديه (آلاء).. بنتي الغالية!!»

التزمت الجارة الصمت، وقد خانتها فصاحة لسانها حتى تلقي تحية مرتقبة، فلعنت سوء ظنونها حول هوية الفتاة، لكن أرقها تساؤل آخر

حدثت به نفسها سرًا:

«.. بنته؟!! أومال فين مراته؟ مسافرة ولا هو___؟»

قاطعتها ذات الشعر الأسود بمبادرة الاقتراب من السور، فمدت يدها إليها بالسلام، لكن فجأة وبلا سابق إنذار، ضاقت عيناها الكحيلتان موجهة حديثها للجارة في ارتياب:

«عينك يا (هند)؛ عينك مش غريبة عليا، هو إحنا اتقابلنا قبل كده؟»

كانت نبرة صوتها جادة وشبه متأكدة من ظنونها، مما أثار هلع ذات الرداء الوردي، فتدخل عمرو مجيبًا عن المسؤولة:

«أصل عيون الطيبين شبه بعض جدًا يا آلاء، وأكيد قابلتي زيها بين الصحاب والقرايب والحبايب.. بس بجد مش هتقابلي قلب أطيب من قلب هند».

التفتت له الابنة فابتسمت متراجعة خطوة وأخرى، ثم احتضنت خصره معلقة:

«ماشي، هي أهلاوية ولا زملكاوية بقى، بما إنك بترد مكانها؟ ههه!!»

شعرت الجارة بين الحروف بغيرة ضمنية من الابنة على والدها، فعذرتها مجيبة:

«أهلاوية، بس بحب اللعبة الحلوة بصراحة.. ههه!!»

راقب مفتول العضلات اضطراب المتحدثة رغم محاولتها أن تستعين بالكوميديا ملاذًا لها، لكن رمقتها آلاء بنظرة خبيثة وعقبت:

«شكلك بتلعبي على كبير أوي أوي يا جميلة، بس على مين؟ الزملكاوية اللي زيي حريفة وبيكسبوا في الآخر!!»

جذبها الأب إلى محيط التلفاز بشيء من الإجبار ليشعل الشاشة الكبيرة بعدما سمع رنين جرس الشقة، ذلك الذي أعلن صاخبًا عن وصول الطعام.

صباح اليوم التالي..

تحدثت هند عبر الأثير إلى بنت خالتها، فدار حديث مختصر بينهما:

«يعني طلعت بنته يا ظالمة؟»

«أه، بس شكلها مش سهلة خالص يا لولو.. أنا مش هدخل الحرب ديه؛ مش هفرق أب عن بنته مهما كنت بحبه وبعشقه وميتة في دباديبه».

«هند!! الحرب ديه تخصه هو لوحده، واللي بيحب حد هيصارع الكون كله عشان يبقى معاه.. بقولك؟ أنا رايحة أكمل الدرس مع العيال، وللحديث بقية.. سلام!!»

حينها حل السكون ليطرح عقل هند سؤالًا منطقيًا، لكن بلا إجابة تعرفها:

«طب انت عرفتني عليها ليه يا عمرو؟»

لذا شعرت برغبة في الابتعاد عن حياة الجار المليئة بالتساؤلات والغموض، علها ترى عالمه برؤية أوضح وأوسع من زاوية أقرب للحقيقة، لكن كان للقدر رأي آخر..

في طريقها إلى الخروج من سكنها سعيًا لحياة صحية أفضل بالصالة الرياضية، أقبل عليها عمرو حاملًا قطه فزعًا، فقال:

«إلحقيني!! سلطان تعبان أوي يا هند!!»

في العيادة البيطرية الأقرب..

اهتم الطبيب بالكشف على القط المسكين، ذلك الذي تأوه من الألم، فبدا الجار متأثرًا للغاية، وكادت ذات الشعر الأحمر أن تبكي من أثر أنينه بين ضلوعها، فمسحت على جسده الصغير محاولة طمأنته بين الحين والآخر، حتى صرح الطبيب:

«هو هيحتاج عملية بسيطة، ماتقلقوش، هنعملها دلوقتي وهيبقى زي الفل.. بس مش هوصيك يا فنان، لازم تسمع كلامي في

كل التعليمات اللي تخص أكله وفترة النقاهة عشان يرجع يلعب ويتنطط في أسرع وقت ممكن!!»

نادى الطبيب على مساعده ليدخلا غرفة العمليات، تاركين الجارين في حالة قلق وانتظار، عندها ربتت هند على كتف عمرو ودلفت:

«والله، هيخف ويرجع لحضنك تاني بألف سلامة.. خليك واثق في ربنا، لأنه مابيعملش حاجة وحشة في أقدارنا».

تنفس مفتول العضلات لدقائق، ثم قال بنبرة هادئة:

«سلطان ده بعتبره ابني وصاحبي، مش بس قط لذيذ بيسليني؛ القطط والكلاب أرواح جميلة بتعوضنا مشاعر كتير يمكن محرومين منها مع البشر».

كانت الكلمات عميقة ومؤثرة، فتغلغلت بداخل المنصتة حتى شعرت بالقشعريرة تجتاح جسدها الضئيل بعدما لمست السطور ما لم تستطع الكاتبة التعبير عنه من قبل، فأمسكت بمحمولها لتكتب ما قيل في

تطبيق الملحوظات، لكن قاطعها ذو اللحية الرمادية قائلًا:

«بتكلمي مين؟»

«ولا حد..»

التفت إلى شاشة محمولها، فبدا كأنه يتحقق من صحة إجابتها، مما أثار التعجب في سريرة هند، فسألت:

«مالك يا عمرو؟»

«ممم.. إيه رأيك في آلاء بنتي؟»

«..»

«عندك حق، هي عنيفة شوية، بس والله، هي في نفس طيبتك.. ماتزعليش منها لو طريقتها ضايقتك، للأسف مامتها كانت كده قبل ما ننفصل، فهي واخدة العيب ده منها، مش مني.. معلش، حقك عليا!»

حينها تجرأ بلا سابق تمهيد، فأمسك بيديها، رادفًا:

«صدقيني!! لم تعاشريها، هتحبيها وهتفهمي كلامي..»

نظر الأخير إلى جارته بنظرات عاشق هائم في معشوقته، لتسحب هند أناملها من بين كفوفه متعففة في حياء، وبلا هجوم حازم على فعلته، علقت:

«بس هدوق عشرتها الطيبة فين؟ تقصد لما تجيلك البيت تاني يعني ونتصاحب وكده؟.. أنا صحابي اللي عملتهم طول حياتي ماتحسبوش عليا علاقات غير بعد سنين، مش مقابلة واتنين.. خير إن شاء الله!!»

أطال الحبيب النظر لها، فكاد يدلي بمحبوس من الكلمات بين حلقه وحباله الصوتية، لكن قاطعه حضور الطبيب، دالفًا:

«حمد لله على سلامة الصغنن القطقوط، هو يقدر يرجع البيت النهاردة، بس محتاج أتكلم معاكم شوية جوة.. اتفضلوا!!»

بعد الحدث الحميمي الأخير بين الجارين، اجتهدت الفتاة

أن تتفادى رؤية حبيبها لكنها لم تتخلَّ عنه، فأرسلت «كرم» إلى شقته بين الحين والآخر حتى يطمئن على «سلطان» ويعرض المساعدة على صاحبه في رحلة التعافي رغم تعففه الدائم والمعتاد.

كاد مفتول العضلات ألا يفارق شرفته ليلًا ونهارًا إلا أوقات الصلاة ليذهب إلى المسجد القريب كلما نادى المؤذن، فبحثت عيناه عن الجارة في ممرات الشارع، ليتردد على القهوة الأقرب لبوابة العمارة يوميًا ويجلس ساعة أو ثلاثًا منتبهًا للعابرين من رواد العمارة وساكنيها، لكن بلا جدوى، فكانت خطة «هند» محكمة للاختباء.

وذات يوم، بعد غيابه عن المحيط كأنما أعلن استسلامه، فتحت الجارة الباب لتخرج من الشقة حتى تقضي حوائجها، فوجدته واقفًا على الأعتاب في حالة تربص مضطرب ثم قال:

«خبيني خبيني عندكم يا آنسة «هند» أرجوكِ؟ بسرعة قبل ما تشوفني!!»

اقترب منها في عجالة حتى اضطرت أن تفسح له مجالًا للدخول، فتباطأت خطاه عند الأريكة القريبة وقال ضاحكًا:

«أاااااه منك يا بنت المجنونة!!»

كاد استفزاز الكلمات الأخيرة أن يكسر لذات الشعر الأحمر ضرسًا أو ربما أوشكت أن تعض على إثره لسانها، فعلقت منفعلة في عنف بلا ترحاب:

«تقصد مين؟.. هي مين ديه؟»

لم يأبه لعصبيتها، وقد حضرت أمها بالمحيط منتظرة إجابات واضحة للموقف المريب، فأجاب الدخيل ذات الشعر الأحمر مسترخيًا في مجلسه بالـ«ريسبشن»:

«يا جماعة، دي واحدة مجنونة اسمها «سوسو»، بتجري ورايا في كل حتة، يعني جاتلي لوكيشنات التصوير والنادي والجيم والكافيه اللي بستجم فيه في المعادي عندي، بس بصراحة، عمري ما

كنت أتصور أن البجاحة توصلها أنها تيجي لحد باب بيتي.. تخيلي يا طنط؟»

وجه حديثه لأم «هند»، تلك التي بدت مذهولة من مقولته، فعلقت مستنفرة في ضيق:

«إخص إخص!! بنات ما شافتش رباية.. معلش يا ابني!! بقوا كتير أوي في الزمن ده!!»

احتل الثلاثينية شعور غريب بأنها المقصودة بشكل أو بآخر، وقد ضاقت عينا الجار ملتفتًا لها، فسألته مترقبة:

«تقصد أنهي بيت يا أستاذ «عمرو»؟»

«هنا مش اللي في المعادي أكيد، ما تقلقيش!!»

«ماقلقش من إيه؟»

«أصل البواب عينه في رأسه هناك، فمأمن المكان كويس، ده

غير إن فيه كاميرات مراقبة بترصد اللي داخل وخارج.. كل يوم وكل ساعة يا آنسة «هند»!!»

شعرت المذكورة بالحرج الشديد، فبدت بعين نفسها كالعارية في ميدان عام بعدما تربص سكان المنزل بالإنصات الشديد لثرثرة الجار، ذلك الذي طلب مصرًّا وراجيا:

«معلش يا «هنود»، اخرجي مشيها من قدام الشقة!! قولي لها إني سافرت، أو برة البيت، أو خارج مدار الكوكب، أو مثلًا مثلًا ممنوع الزيارات النهاردة بالذات.. بالذات النهاردة، ها؟.. عشان عندي تصوير مثلًا يعني..»

أكدت كلماته الأخيرة ظنون ذات الشعر الأحمر، فعلقت:

«واضح إنك اتكلمت مع عم «علي» و«ألاء» الفترة اللي فاتت كتير، بس انت فاهم غلط..»

حدثته الأخيرة بنبرة صوت حادة للغاية، مما أثار الريبة في

نفوس المحيطين بعدما عجز الأغلبية عن إدراك المُقال بذلك المجلس الجماعي. حينها استقام «عمرو» مواجهًا جارته «هند»، تلك التي وقفت بدورها أمامه في ثبات حتى سأل:

«يبقى فهميني!! بتهيألي من حقي أفهم..»

«تمام.. البنت دي بتعمل كده من شدة إعجابها بك، يعني مش مجنونة ولا قليلة الأدب وما تربتش زي ما بتقولوا؛ دي محترمة جدًا على فكرة.. أنا متأكدة من كده، وهروح أمشيها عشان أحفظ كرامتها اللي اتبعترت في الأرض من كلامكم السم ده..»

دفعت جارها بشيء من العنف وخرجت من الشقة رغم نداءات أمها وأختيها، فالتقت تلك الفتاة العشرينية التي توترت بمرآها، حينها ربتت «هند» على كتفيها حتى كادت أن تحتضنها، فقالت:

«ما تعمليش كده في نفسك، انتي تستاهلي اللي يعبدك ويعشقك عشق يا «سوسو»..»

«..»

«امشي!!!! الأستاذ برة ومش فاضي، ومش عايزك، وما يستحقش يشوف لهفتك دي لما يرجع.. امشي يا قلبي.. امشي عشان خاطري وخاطرك!!»

لمعت دمعة بين عينَي الفتاة، وقد انطفأ بهيج ابتسامتها، فتركت بوكيه من الفل الأبيض في حضن «هند» ورحلت مذبوحة بلا دماء ولا وداع..

في تلك اللحظة، خرج «عمرو» بعدما تأكد من مغادرة الأخيرة عبر ثقب باب الجارة، فملتفتًا إلى حزمة الزهور البيضاء، رحب باستقبال هديته دالفًا:

«شكرًا يا جميلة على حركة الإنقاذ دي.. مش عارف أقولك إيه والله!! هاتي عنك بقى..!!»

عضت «هند» على شفتيها من الغيظ، فكادت أن تلتهم ذراعيه

الممدودتين، لكنها ابتعدت خطوة وأخرى، فمتمسكة بالبوكيه، قالت:

«أنا اللي عندي كلام كتير أوي عايزة أقولهولك، بس للأسف عيب ومش من حقي.. أما الورد ده، انت ما تستحقهوش، اعتبره أتعاب المرافعة الأخيرة اللي أنا ظلمت فيها البنت الغلبانة دي.. أنا جنيت عليها عشان سعادتك يا روميو.. ابعد كده بقى!!!!»

دفعت «هند» أي عائق بطريق عودتها إلى شقتها وغرفتها، فبكت بحرقة حاملة الورد، ثم أوصدت الباب بإحكام غير مبالية بهجوم كل من حاول اقتحام الغرفة حتى وقعت عيناها على أوراق مذكراتها البالية، وقد راودتها الذكريات المؤلمة من جديد، فقالت:

«ما فيش فايدة في البشرية خلاص كده!!»

بحثت عن الولاعة التي اعتادت أن تشعل بها الشموع الفواحة في محيط غرفتها، فحاولت إضرام النار في الأوراق مرارًا وتكرارًا بلا جدوى، وقد نفذ الغاز من الولاعة..

كاد الغضب أن ينهي حياتها، فبدأت في تقطيع الأوراق بأسنانها وأيديها حتى تحولت لقصاصات متناثرة على الأرضية الباردة، عندها هدأت ثورتها، فاختبأت تحت وسادتها وغطاء سريرها الشتوي لتغوص في أحلام السبات العميق..

لكن لم ترحمها كوابيس تلك القيلولة، وقد التقت أعنف وحوش البرية وقروش المحيطات الغادرة، لتعدو وتعوم هربًا بكل ما أوتيت من قوة، حتى أدركت تلك الغرفة الهادئة..

هناك وجدت أباها المتوفي جالسًا في صمت، فاحتضن مصحفًا جميل الغلاف وقال:

«ما تخافيش يا هند!! انتي هنا في أمان.. قربي، ما تقلقيش يا بنتي!!»

هرعت إليه، فاحتواها بين ذراعيه تاركًا المصحف الشريف ساكنًا بين جسديهما، فرتل الآيات القرآنية بصوت حانٍ. حينها قالت المنتحبة:

«انت واحشني أوي يا بابا.. انت الراجل الوحيد اللي حن عليَّ وطبطب.. مفيش ذكر ينفع يؤتمن.. كلهم تعابين، سمهم مدسوس في العسل.. تماسيح، دموعهم كدابة.. أنا تعبت أوي يا بابا ونفسي أموت وأجيلك بقى!!»

ضمها الأب إليه، فطوقها بالرحمة التي تمنتها:

«ما تقوليش كده، لسه في عمرك عمر تعيشيه.. على فكرة، حتى الحبيب، أيا كان سنه ومركزه، لازم يكون لك أب وأخ وصاحب وابن وعاشق.. وممكن يكون.. جار!!»

«عمرو كان قاسي مع البنت ديه أوي..»

«بعض القسوة بتبقى واجب ورحمة بقلوب البشر.. هو رحمها من تعلق بلا مغزى، من رحلة آمال مفيهاش نهاية سعيدة..»

«وأنا؟ هيعمل فيا كده برضو؟»

«قصتك معاه لسه ما خلصتش، ما تحكميش على الحدوتة وانتي في الفصل التاني؛ فصل الصراع اللي هيحدد شكل النهاية في الآخر.. ما تستعجليش وتقفلي الرواية بدري كده!!»

عندها تبخر طيف الأب، وعادت هند إلى أرض الواقع من جديد، فتثاءبت وتثاقلت خطاها في طريقها لجمع أشلاء المذكرات. وعند باب الشقة، ألقت بها إلى سلة القمامة الفارغة، متنفسة عبق الحرية. لكنها اصطدمت بوجود ظرف كبير على جانب من عتب المدخل، فما إن ألقت نظرة على محتواه حتى اكتشفت أنه يحمل عددًا كبيرًا من صفحات مذكراتها التي نجحت في التخلص منها للتو، لتقول قبل أن يصيبها الجنون:

«إيه ده بقى؟!!.. يعني إيه؟!»

حينها ظهر عمرو في المحيط فأجاب:

«ما تخافيش!!.. أنا جاي أقولك يعني إيه يا حبيبتي!!»

في إحدى المواقع الباردة بالصحراء.. المغرب..

جلسا الجاران على الرمال الناعمة، فانتبه الأول لهند قائلًا:

«فاكرة أول مرة اتكلمنا فيها قدام العمارة؟»

«لما كنت بتطلع العفش و___»

«فاكرة بقى لحظة ما غبتي ودخلتي تغيري هدومك عشان تعرفي تنزلي؟ وقتها أنا جمعت شوية من ورق مذكراتك وخبيتهم في هدومي قبل ما تقابليني تحت.. أخدتهم بيتي وفرزتهم وطلعت منهم الحلو اللي ما ينفعش يتنسي.. اللحظات والحاجات الحلوة عيب يتغدر بها حتى لو صاحبها مشي وهجر.. كفاية إننا كنا مبسوطين ومستمتعين بالدقيقة والثانية والدفا فيهم.. أوعي تنسي حلو البني آدمين حتى لو بقوا فعل ماضٍ.. أوعي تبقي من قلوب "إذا خاصم فجر".. أوعي يا هند!!»

تنفست المذكورة الهواء البارد، فسألت:

«انت جايبني هنا ليه يا عمرو؟ انت بجد غريب وما بقتش فاهماك..»

«بس في الآخر جيتي معايا، يعني بتثقي فيا.. صح؟»

«لو سمحت، ما بتجاوبش السؤال بسؤال.. عايزة أفهم!»

«ماشي.. جيت عشان الورق اللي رمتيه في الزبالة كان هيرجع لك تاني زي كل مرة، بس هنا – بقى – ممكن تدفني أي حاجة نفسك فيها، وما فيش صريخ ابن يومين هيعترض في الهوا ده..»

تعجبت من صياغة العبارات وترتيبها، لتدلف:

«على فكرة، انت ساعات بتبقى مرعب بجد، ولولا إني عارفة إنك طيب، كنت قلت عليك قاتل مأجور شرير.. ههه!!»

«ممم.. أنا طيب؟ أومال إيه الكلام اللي قلتيه عليَّ بسبب "سوسو"؟ على فكرة، البنت دي كانت بتطاردني بشكل مرضي مرعب، كانت هتخبط بنتي بعربيتها في مرة، ومشيت ورا أمي مرة عشان تعرف

مكاني، وياما عملت لي مشاكل في لوكيشن تصوير قبل كده___»

«أنا آسفة يا عمرو.. ما تزعلش!! خلاص بابا فهمني..»

«بابا مين؟ هو مش باباكي م___ ؟»

«أبويا متعود يزورني كل لما الدنيا تضيق بيا، والنهاردة كان معايا في الحلم بيطمني، وقال كلام حلو عليك..»

«لا بجد والله؟!! كلمتي باباكي الله يرحمه وبتقولي عليا أنا اللي مرعب؟!!»

«ههه!!»

«..»

«.. برضو ما قلتش هادفن الورق هنا فين؟»

جذب منها الحقيبة البلاستيكية التي حملت بقايا مذكراتها، فأرشدها إلى بئر مدفون تحت الأطلال والرمل، ثم قال:

«هنا دفنت وجعي زمان، وجه الدور عليكي!! يلا نشرب من نفس الدوا عشان نخف سوا!!»

نظرت داخل البئر العميق، فأسقطت الوريقات قطعة تلو أخرى حتى أنهت مهمتها بنجاح. حينها دلف عمرو مترددًا:

«لسه زعلانة مني عشان__ ؟»

«الأهم تكون راضي عن نفسك، مش مهم الناس و__»

«بس انتي مهمة عندي يا هند..»

«..»

«مسامحاني؟»

«مسامحاك و بحب__»

قاطع تلك اللحظة الرومانسية رنين محمولها، فأجابت المتصل بسرعة:

«نعم يا أختي العزيزة.. نعم؟.. نعمييين؟!! انتي بتقولي إيه؟.. الله يخرب بيتك يا براء!! إيه اللي جابه ده عندنا في الشقة؟!»

في منتصف بهو الاستقبال بشقة (هند).. ليلاً..

واجهت ذات الشعر الأحمر شابًا وشابة في حضور أهل البيت، وقد انتظر (عمرو) عند المدخل مراقبًا من على بعد، فوجهت حديثها إلى أمها وسألت: «الاتنين دول دخلوا هنا إزاي يا ماما؟»

تقدمت المسؤولة خطوة وأخرى فأجابت: «لاقيت (ندى) بتعيط في وشي وأنا بفتح الباب، ولسه هقولها تمشي، ظهر (براء) في ضهرها فجأة، فخُفت وماعرفتش أعمل حاجة غير إني أدخلهم، وقلت لـ(نورا) أختك تتصل عليكي عشان تلحقينا يا بنتي..»

التفتت الثلاثينية إلى الزائرين غير المرغوب فيهم بعدما حل الصمت بين الحضور، فقالت متحدثة إليهما: «إيه؟!! مش تقولوا إنكم اشتغلتم مطارد وفي مجال الإ*رهاب يا عصابة حمادة وتوتو؟!!»

أقدم عليها الشاب الطويل ذو البشرة السمراء فأجاب: «إحنا جايين نرجع الماية لمجاريها يا قمر؛ يعني من دلوقتي هي صاحبتك وأنا حبيبك.»

«هاااهه!!.. قول والله كده!! يا دكتووور، إحنا مفاضلش بينا غير المجاري وبس لأنك نسيت تقول إنها كانت صاحبتي اللي خانتني مع حبيبي بعد العيش والملح معاها ومعاه..»

«ممم.. دكتور؟! طب مش عيب أعرف إنك بتودي قططك لدكتور تاني غيري؟ نسيتي إني أنقذت قطتك من الموت زمان؟ و.. و مش (شحبر)، قطك حبيبك ده كان هدية مني ليكي برضو؟ طب بجد مصدقة إنك نسيتي (ندى) صديقتك الصدوقة من أيام المدرسة؟!!»

فهمت المسؤولة محاولة المتحدث في «قلب الترابيزات» وتبادل أدوار الجاحدين والظلمة بمقاعد البطولة والتضحية، حينها ضحكت فعلقت: «المشكلة الحقيقية إني مش ناسية، انتوا اللي نسيتوا لما

قررتوا تضربوني في مقتل بغدر الصحاب والأحبة الكدابين؛ دبحتوني بسكينة تلمة وأنا بتمرمغ من الوجع على سراير المستشفيات وعلى قبر أبويا.. اتفقتوا على معاد موتي قبل ما رب الكون يؤمر به.. كده فعلاً أبقى جاحدة وناكرة للجميل، عندك حق!!! ههه!!»

أدارت له ظهرها لتواجه (عمرو) الذي لم يبرح مكانه حتى علقت (ندى): «هو السبب مش أنا يا (هند)؛ فضل يتدحلب ويكلمني كل يوم لغاية لما وقعت في الفخ وحبيته، أما أنا ماكانش في نيتي الخيانة.»

انهارت المتحدثة الأخيرة على الأرضية الباردة محاولة استعطاف ذات الشعر الأحمر ليدافع (براء) عن نفسه بضراوة قائلًا: «كذابة!! هي اللي___»

قاطعته الثلاثينية فعلقت ضاحكة: «شششش.. إيه يا شباب؟!! على رأي المثل، ماشوفوهمش وهم بيسرقوا؟ شافوهم وهم بيتخانقوا؟..

لموا غسيلكم المكمكم عشان ريحته المقرفة فاحت بين الأهل والجيران!! بس النهاردة، بجد أنا مبسوطة عشان اتأكدت إنكم لايقين على بعض وإني خرجت من أرضكم كسبانة مية في المية.. اتفضلوا، الباب يفوت جمل ومعزة!!»

نظر الخائنان لبعضهما في خزي، فرحلت الأولى مهرولة إلى سلم الوصول للشارع، لكن لم يستسلم الثعبان الثاني فدس سمه بين الكلمات مرة أخرى قائلًا: «برضو مش هتعرفي تنسيني ومش هترتاحي أبدًا طول ما أنا بعيد؛ (شحيبر) طول ما هو في حضنك ومش قادرة تستغني عنه، هيفضل يفكرك بيا.. وهفضل أزورك في حلمك؛ هفضل ساكن ذاكرتك لحد سكرات الموت.. وهتتمني الجنة معايا في قصري وجناييني، لكني مش هختارك وهروح للحور العين زي ما فضلت (ندى) عليكي زمان.. أنا الكابوس اللي مش هتخلصي منه غير وانتي في جهنم وبئس المصير!!.. سلام!»

(79)

تحرك الأخير متحفزًا للرحيل، لكن تمسك (عمرو) بذراعه العريض عند عتب الباب فقال: «(هند) لسه ماخلصتش كلامها يا دكتور..»

أحكم الجار قبضته على الغادر المغادر فكاد أن يعتصر لحمه عصرًا، حينها تنفست ذات الشعر الأحمر بعمق ثم قالت: «عندك حق يا (براء)، انت فعلاً ماتتنسيش؛ مين مجنون يقدر ينسى مصير إبليس في جهنم؟!! مين، ها؟.. أما الغلبان (شحيبر) فخرجه من حساباتنا؛ أنا مش هأذي كائن بريء زيي بذنب مجرم سفاح زيك.. وعلى فكرة، انت بتجيلي في أحلامي على طول؛ انت فعلاً كابوس مليان كلاب مصعورة مابيحوقش فيها علاج، وموتها رحمة لها ولنا للأسف.. وبالنسبة للموت وسكراته، فأنت انتحار مفيهوش نجاة لو فكرت أرجعلك تاني، بس ماتقلقش!! عمري ما هتمنى جنتك لإنها زي جنة الدجال؛ يعني نار، الحور العين فيها بنات إبليس، فإنجوي يا دوك!! وبئس المصير.. باااي!!»

غمزت الأخيرة للأسمر استفزازًا وقد أثلجت كلماتها عمق نفسها، فالتفت الراحل إلى (عمرو) الذي أفلت قبضته الحازمة عنه، لكنه لم يسلم من سم (براء) الذي سأل: «هو ده بقى المحترم الكيوت اللي انتي ماشية معاه اليومين دول يا (دودو)؟»

حينها أجاب ذو اللحية الرمادية عن المسؤولة: «الحقيقة (هند) كلامها خلص هنا، تعالى بقى نكمل كلامنا برة يا سكر!!»

حمله (عمرو) عنوة وقهرًا فأحكم تمسكه بملابسه وجسده حتى أدرك الشارع، ليبدأ شجار غير متكافئ بين الأسد المغوار والذئب اللعوب، حتى انتصر الملك بنزاهة ليهرب سليل الغدر بين أسراب المشاهدين في الشارع..

مر يوم وآخر فلم تظهر (هند) بين الجموع، لتنفرد بقططها في غرفتها وصفحات كتاباتها، فتعفف ذو اللحية الرمادية عن السؤال عنها لسبب مبهم، حتى تلقت الأولى مكالمة طارئة دفعتها للجوء إليه من جديد.

في مستشفى (السلام) .. المغرب ..

تحدث الطبيب إلى (عمرو) أمام غرفة العناية المركزة قائلًا: «الحالة مش مستقرة ومحتاجة نقل دم سريع.. الأستاذة (ليلى السيد) عاملة حادثة مرور على الطريق العام ووضعها خطير.. أرجوكم اتصرفوا في أكياس دم ودوروا على متبرع بس بسرعة!»

اندفعت (هند) إليه بعدما أنصتت إلى الحوار صامتة: «أنا هتبرع دلوقتي حالًا بس نلحقها، أرجوك!!»

حينها انتبه إليها الطبيب فعلق متأففًا: «يا أستاذة!! قولتلك، حضرتك مريضة سكر وعندك أنيميا حادة، لو أخدت نص كيس دم منك، أبقى بقتلك.. وده ضد أمانتي المهنية!!»

بكت ذات الشعر الأحمر محترقة بعجزها عن إنقاذ خليلتها، ليشفق عليها (عمرو) فتحدث إليها في أحد الأركان مجففًا دمعها:

«مش انتي اللي قولتيلي، ربنا مابيعملش حاجة وحشة في أقدارنا؟ وإحنا كان قدرنا نتقابل ونعرف بعض.. يمكن (ليلى) هي سبب من أسباب إننا مع بعض دلوقتي!!»

«تقصد إيه؟»

«أنا هتبرع لها عشانك.. وأي مهم بالنسبة لك فهو الأهم بالنسبة لي.. فاهمة؟»

«لا لا لأ، مش هسمحلك تأذي نفسك..»

احتضنت كفوفه بين أصابعها، فقال رابطًا على رجفة هلعها:

«ماتخافيش عليا!! دول شوية دم بس، فداكِ يعني يا (هنود)!»

لم ينتظر منها الجار قبولًا أو جدالًا محتملًا، فتحرك مع الطبيب لأداء المهمة سريعًا، وهناك في الغرفة المعقمة، جلست (هند) بجانبه فأمسكت بكفه دون اكتراث لنظرات الناس من حولها، لتحيط المتبرع بالرعاية والدفء، وعدد هائل من علب العصير المحلى كما

وصتها الممرضة.. وحتى استقرت حالته واطمأنا على وصول أكياس الدم لـ(ليلى)، بدت الثلاثينية في حالة اضطراب شديدة، أما الطبيب فطلب من كلا الجارين الرحيل قائلًا:

«لو الـ٤٨ ساعة الجاية عدت على خير، هقدر أطمنكم على الحالة بإذن الله.. ممكن تمشوا دلوقتي لإن وجودكم مش هيضيف أي حاجة حاليًا، ده لو سمحتم طبعًا!!»

رفضت جوارح (هند) مغادرة المستشفى، لكن أقنعها الجار أخيرًا بعد تحايل شديد، ففي طريق العودة لأدراجهما، دلف (عمرو): «على فكرة انتي جميلة وحنينة وطيبة وبنت حلال أوي أوي، يا بخت سكان قلبك بيكي بجد!!»

ازدردت الأخرى ريقها فعلقت في حزن:

«بس أنا بقيت على طول خايفة عليهم أوي؛ محدش سكن جوايا غير وفارق.. وأهو الماضي بيعيد نفسه تاني.. بابا سابني بنفس

الطريقة تقريبًا.. أنا خايفة على (ليلى) أوي أوي أوي.. خايفة تمو___»

«شششششش..»

تجرأ ذو اللحية الرمادية فوضع يمناه على شفتيها، ثم ضمها إلى صدره وطوق ذعرها بين ذراعيه، ثم ردف بلا مقاومة منها: «قانون الجذب يا (هند).. لو المسيطر علينا هو الخوف، مش هنجذب غير أسوأ مخاوفنا.. (أنا عند ظن عبدي بي)، ده كلام ربنا مش كلامي..»

«بس أنا كل اللي اتعلقت به، سابني.. عشان كده بقيت زاهدة كل حاجة متشعلقة في عشقها، على أمل إن الدنيا ماتحرمنيش منها وتخليني أحتفظ بها للآخر.. مابقتش عارفة أعوز حاجة أوي لإني متأكدة أنها مش هتبقى من نصيبي مهما سعيت لها وحاولت.. الخوف جوايا دايمًا أكبر كتير من الأمل في تحقيق الأمنية

والحلم.. أنا مش هقدر أخسر (ليلى).. وهموت يا (عمرو) لو خسرتك.. هموت والله.. هموت!!»

«وأنا أوعدك، مش هتخسري أي خير ربنا كاتبهولك.. خليكي واثقة في كده مهما حصل!!»

مرت الدقائق بين الـ ٤٨ ساعة كعقود قاتلة فلم تذق فيها (هند) طعم الراحة أو ثواني معدودة من القيلولة القصيرة، أما الحبيب فتابع السؤال عن حالة (ليلى) عبر الأثير، لتتلو الأولى دعواتها بين الصلوات ويطمئن الثاني على جارته بين الحين والآخر حتى طلب منهما الطبيب ضرورة الحضور في التو واللحظة..

غرفة العناية المركزة – الظهيرة –

استلقت (ليلى) بلا حراك وقد كسى جسدها الشاش من كل حدب وصوب، فاقتربت منها (هند) ببطء بعدما انشغل الجار في مكالمة تليفونية خارج الغرفة، وبصوت خافت، نادت الجريحة على قريبتها:

«قربي يا حبيبتي، عايزاكي قريبة زي ما كنتي على طول قريبة للقلب والروح يا توأم روحي!!»

اندفعت إليها المندوهة فجثت على ركبتيها رغم الألم المعتاد بهما ثم قالت:

«يالا قومي عشان نروح، شكلك وحش في جبس الموميا ده.. يالا قومي احنا مكاننا مش هنا!! ياللا بقى، بطلي دلع يا روح الروح!!»

انهارت الأخيرة باكية بلا نية لتوقف حتى داعبت الأخرى فروة شعرها الأحمر قائلة:

«فاكرة يا بت لما كنتِ بتغيري مني وانتي صغيرة بسبب شعري الطويل؟ وفي يوم قصيته لنفس طول شعرك وقلتلك (عشان شعرنا يطول مع بعض)..»

تنهدت المسئولة فجففت دموعها في رفق ومتمسكة بذراع (ليلى)، أجابت:

«أه، طبعا فاكرة بس انتي شعرك قعد يطول يطول يطول وأنا شعري وقف مكانه محلك سر من غير ولا سم زيادة.. ههه!!»

«ههه.. كنا صغننين مش فاهمين إن الدنيا دوارة وأهو هنبدل الأدوار، انتي مكملة وأنا خلاص في آخر الطريق.. هنا آخر محطة ليا يا (هند)!!»

«لا، ماتقوليش كده.. دم (عمرو) بيجري في دمك وهو انتِ عارفة أنه حبيبي وقلبي، يعني حتة مني جواكي فمش هنموت غير مع بعض.. انتي فاهمة؟»

«(هند)!! اسمعيني كويس.. أنا كنت بموت من زمان وخبيت السر جوايا بقالي سنين..»

«يعني ايه؟»

«أنا عندي سرطان من ثلاث سنين؛ فضلت أقاوم وأتعالج بس للأسف جسمي كانت استجابته ضعيفة والنهاردة المرض بقى

في المرحلة الأخيرة المتأخرة.. الحادثة حصلت لما دوخت ووقعت من الأعراض الجانبية للدواء؛ الحادثة حصلت عشان تكتب النهاية وتكشف المستور..»

ضاق نفس المتحدثة فأخذت تستنشق من أنبوب الأوكسجين بقوة، ثم استطردت وقد حل الصمت مخيماً على ذات الشعر الأحمر وكأن شيء منعها من استدعاء الطاقم الطبي:

«أنا كنت ماسكة في الدنيا بإيدي وسناني بسببك وعشانك؛ بسببك لأن قلبك كان دايماً يلم شمل الحلو في الأيام بالرغم من كل الفراق والمرار اللي دقنا أنا وانتي.. وعشانك لإني كنت بتحايل على ماما تجيبلي أخت تهون عليا الوحدة حتى لو هتشتريها من السوق الحرة.. تخيلي؟ ههه!!»

لم تستجب (هند) للمزحة الأخيرة فكاد الأسى أن يهتك بروحها بين الكلمات، لذا ألقت عليها الأخرى الوصية الأخيرة:

«ماتتخليش عن أحلامك ولا عن قططك يا حبيبتي.. ماتفرطيش!! ماتفرطيش في (عمرو) حتى لو ده هيستدعي الحرب، الحرب عشانه تستاهل أيا كان المنتصر فيها..»

«..»

«وأنا! إوعي تسيبيني لوحدي وأنا بقول الشهادة بين إيدين ربنا، أكيد هحس بقلبك الطيب الطاهر النقي حوليا فهطمن وأودعك بسلام.. أنا خايفة من الوحدة أوي أوي.. خاي___»

حينها سكنت الأنفاس وارتقت روحها إلى بارئها لتتشبث (هند) بيمناها وأخذت ترتل الدعوات بصوت عالٍ أدرك مسامع (عمرو)، ثم قالت:

«بابا هناك مستنيكي يا (ليلى)؛ أيوة هو قالي امبارح وأنا ماكنتش عايزة أصدقه.. قالي إنه هيرحب بيكي فوق بكل النعيم اللي دايقه عند ربنا.. أيوة مكانكم في الجنة، إن شاء الله في الجنة يا روح الروح!!»

لم تتحمل الباكية الصدمة في موت تلك الغالية ففقدت الوعي بين ذراعي حبيبها بالنهاية..

في صوان بنت الخالة بالقرب من سكن (هند) – التاسعة مساءً –

أنهى المقرئ ترتيله للآيات القرآنية بين الراثين، فعاد الجميع إلى بيوتهم ليلتقي الجاران أمام باب عمارة سكنيهما. أطالا النظر لبعضهما فسأل (عمرو):

«ناوية تعملي إيه؟»

عندها ذرفت (هند) دمعة وأخرى فأجابت بصوت مكتوم وقلب مكلوم:

«هبعد.. هبعد عنك عشان ماتتئذيش!!»

«نعم؟!!.. قصدك هتهربي؟»

«لأ، هنقذك؛ كل اللي بيقرب مني – زي ما انت شايف – يا بيفارق ويموتني يا بيموت ويفارقني، والتنين مش هستحملهم منك

ولا عليك..كفاية إني أشوفك مبسوط مع بنتك ومامتك و(سلطان)..

صحيح هو عامل إيه دلوقتي؟»

كادت ترحل فتمسك الحبيب بطرف قميصها الأسود وسأل في يأس:

«ده قرارك النهائي يعني.. يا.. يا جارتي العزيزة؟»

حينها أقبلت عليه وجذبت رأسه إليها فقبلتها بشغف باكية ثم قالت:

«أنا أسفة.. سامحني عشان خاطري!!»

منذ تلك اللحظة، لم تبدُ الحياة كسابق عهدها..

فأنصتت المكلومة إلى الصمت بين الأيام، واجتهدت لينفذ حبر أقلامها في كتابة روايتها الأولى، فلم تفلت مشهد (عمرو) كل فجر ذهابًا وإيابًا من وإلى المسجد، فتمنت أن تجمعهما الصدفة رغمًا عن قرارها الأخير، لكنها شعرت أن الحبيب تعمد أن يتجنبها. لكنه بدا يائسًا تائهًا أمام تلفازه في الشرفة عندما استرقت جارته المشتاقة النظر إليه بين الحين والآخر...

دام ذاك الحال لأيام، كأنما اختار الأبدية للأبد، أما القدر فكان له رأي آخر...

في ظهيرة أحد الأيام، مر (عمرو) بأحد الأكشاك بعدما أنهى صلاته في المسجد القريب، فاشترى حاجته من البقالة، وفي طريقه للعودة تعثرت خطاه في حفرة غائرة حتى سقط متألمًا على الأرض الأسفلتية وعلى مرأى من الجموع في الشارع. ليجتمعوا على حمله إلى الطبيب الأقرب لفحص حالته، ومن بينهم (هند)، تلك التي شاهدت الحدث من الشرفة فلم تطيق المضي في الانصياع لقرارها الأخير، فتهرع إلى حبيبها بلا تردد، مستسلمة لعشقها له مرة أخرى...

في العيادة.. بعد ساعة...

«بُصي يا ست الكل! الفنان محتاج راحة تامة ومتابعة ممتازة لمواعيد الأكل والدواء والعلاج الطبيعي البسيط.. هتقدري تساعديه ولا أبعت معاكم ممرضة من طرفي؟»

«نعم؟!! تقصد ست يعني؟!!»

انتبه لها (عمرو) لكنه التزم الصمت مبتسمًا في خِفية، لتردف حبيبته الغيورة:

«أقصد إني شاطرة في تطهير الجروح والذي منه؛ أنا عندي السكر وقعدت ست سنين بهتم بـ...»

«تمام تمام.. ديه الروشتة والتعليمات، كتبتها عشان ماتنسيش.. وانتي وشطارتك يا جميلة! رجعلنا البطل أحسن مما كان.. ماشي؟»

أومأت للطبيب بالإيجاب، ليتعكز مفتول العضلات على ثقلها حتى أدركا بوابة العمارة، فالمصعد، ثم باب شقته، حيث افترش (كرم) الأرض ليطعم القطط المتجولين بين الشارع والممرات حول الشقق. فنادته خالته قائلة:

«تعالى يا (كركر)، ندخل قدوتك وحبيبك البيت عشان تعبان.. وهديك فلوس تجيب أدوية من الصيدلية..»

دنا منها الصغير فهمس خجلًا:

«أنا عايز حاجة حلوة يا خالتو..»

ضحك الجاران بعدما أدركت كلماته مسامعهما البعيدة، ليتتبعاه إلى غرفة نوم المصاب، حيث انتظره (سلطان)، لكنه بدا منهك القوى. فتأكدت (هند) من استقرار (عمرو) على فراشه العريض، وجمعت أغطية البيت الشتوية لتحتوي جسد العليل بين نسيجها. حينها عاد (كرم) حاملًا الأدوية والحلوى الخاصة به، فلاحظ سكون القط المسكين ليسأل:

«هو قطتك عيانة يا عمو (عمرو)؟»

ابتسم له المسئول رغم وجعه، فأجاب بينما انشغلت جارته في المطبخ بتحضير الطعام المذكور بين تعليمات الطبيب:

«وعرفت إزاي يا سكر انت؟»

«ممم.. أصلي ببقى شبهه كده لما بيكون عندي برد.. هو عنده برد؟»

«لأ، بس بطنه وجعاه.. تحب تساعده معايا عشان يخف بسرعة؟»

فرح الصغير بالعرض، ليداعب رأس القط بحرص، قائلًا:

«على فكرة، أنا عالجت بوبي صغير قبل كده بعد ما عربية خبطته في الشارع.. يا حرام، فضل يهوهو وأنا بربط له إيده، بس خالتو (هند) ودته معايا للدكتور وساعدتني أساعده..»

«ممم.. يعني هي اللي علمتك؟»

تدخلت ذات الشعر الأحمر فعلقت:

«لأ، تعليم إيه؟!! أنا سايبة الحوار ده لمامته، عشان (كرم) فَرَّاك وما بيحبش يعمل الواجب، وأنا الصراحة معنديش طاقة أجري وراه.. ههه!!»

قدمت الأخيرة صينية الطعام الدافئ لـ(عمرو)، فردفت:

«معادنا كمان أربع ساعات عشان نعمل غيار على الجرح وناخد دوا تاني.. وبكرة إن شاء الله هنبدأ شوية تمرينات بسيطة خالص.. اطمن!! انت و(سلطان) هترجعوا زي الفل، انتوا في إيد أمينة.. أوعدك!!»

التفت لها الطفل ملتهمًا قطعة الحلوى، فسأل بعفوية:

«أمينة مين ديه؟»

مرت الأيام سريعة رغم المشقة التي أصابت جسد الفنان المشهور، لكن رفقة (هند) وعنايتها يسّرت الأمر عليه، حتى ظهرت (ألاء) من جديد. استقبلتها ذات الشعر الأحمر بالترحاب والاستغراب من غيابها الطويل عن أبيها المصاب، لتبرر الزائرة:

«كنت مسافرة ولسه عارفة منه – في المطار – اللي حصل.. معلش تعبناكي معانا! بس هو انتي شغالة ممرضة يا أستاذة (هند)؟»

ظهر أبوها في صالة الاستقبال فأجاب عن المسؤولة:

«اسمها باشمهندسة (هنود) يا آنسة (لولا)، وبتكتب روايات بتتحول لسيناريوهات، عشان كده هتحضر معايا تصوير النهاردة.. ماشي؟»

أقبلت على والدها بالقبلات فأجابت:

«أنا موافقة، شكلها ست جدعة وتستاهل رد الجميل.. ههه!!»

شعرت الجارة بالإهانة، فمساعدتها لحبيبها كانت نابعة من قلب عاشقة، لكنها لم تعلّق، جامعة أغراضها المتناثرة بالمحيط حتى تعود إلى سكنها. لكن تمسكت ذات الشعر الأسود الطويل بطرف قميصها وقالت:

«شكراً يا (هند)! شكراً بجد.. وعايزاكي تيجي معانا لوكيشن التصوير من باب الصحبة الحلوة.. عشان خاطري تعالي لو لنا خاطر عندك!!!»

فضمت الجارة إليها لتحسم الخلاف القائم بينهما منذ اللقاء الثاني،

فوافقت الأخرى على الدعوة. وهناك، في مدينة الإنتاج الإعلامي، ازدحم المكان بمجاميع الممثلين والمصورين وكل الفئات القائمة على صناعة الفيلم، ليرحب الجميع بالفنان المعروف وضيوفه. حتى اختفى الأول بين جدران الـ(كارافان) الخاص به، وتبخر أثر (ألاء) بين الحضور، فانتظرتهما (هند) وحيدة عند أحد الأركان البعيدة عن الكاميرات.

دنا منها أحدهم فسأل:

«ممثلة ولا موديل؟ حاسس إن وشك مش غريب عليا يا جميلة..»

التفتت إلى السائل، ذلك الذي هام بالتحديق فيها بلا خجل، فأجابت غير مكترثة بالحديث معه:

«زمان أوي من سنين، اشتغلت كذا برنامج ومسلسل كمهندسة ديكور.. ممكن حضرتك تكون شوفتني وقتها، بس ده زمان أوي!!»

كاد الدخيل أن يسترسل حتى جذبها (عمرو) بعيداً عنه وعلق:

«إيه يا (هشام) يا مخرج؟!! إرحم نفسك شوية.. الأستاذة المحترمة تخصني!!»

ابتلعت المشار إليها لسانها، لتترك مجال الحديث لحبيبها، فحك المخرج رأسه في حرج لكنه سأل:

«طب إيه؟ صاحبتك ولا مراتك الجديدة يا معلم؟»

«جارتي العزيزة جداً، وخليك في حالك.. ههه!!»

«ممم.. طب وديه؟»

التفت الفنان إلى تلك التي وقفت خلفه في محاولة لإصابته بأحد المقالب المعتادة حتى أجاب:

«ديه (ألاء) بنتي وتخصني برضو، يعني هي كمان مالكش دعوة بها.. إيه رأيك بقى؟ ههه!!»

ضحكت الابنة، بينما توترت الأخرى، ليعلق (هشام) صاحب

الخصلة الزرقاء بين خصلات شعره الأشقر:

«ماشي يا عم، بنتين حلوين، يعني محدش قدك انت!! مع إني محتاج واحدة معايا في مسلسل مهم.. إيه رأيك يا أستاذة (هند)؟ تجربي؟»

عصر اليوم التالي ..

احتشد الجيران وسكان الشارع أمام شقة (هند)، فعبروا الباب دخولًا وخروجًا بلا استئذان، ليتعجب مفتول العضلات من المشهد، فاقترب من الحدث متلهفًا بشيء من الهلع. حينها فاجأته جارته ذات الشعر الأحمر بتقدمها إليه حاملة طبقين من قطع اللحم و(الفتة) الشهيرة، ثم قالت:

«بالهنا والشفا، ده لك انت و(ألاء).. أنا اللي طابخة على فكرة، والنهاردة اليوم الفري من الدايت.. تمام كده؟ ههه!!»

ابتسم الجار مستقبلًا الطعام بحفاوة، فسأل:

«ديه عقيقة (أمنية)؟»

«مين؟»

«مش ده الاسم اللي (كرم) كان عايز يسمي به البيبي ابن أختك (نورا) لما تولد؟»

«ههه!! لا لا، ده لسه معاد ولادتها كمان شهر.. أما أنا فدبحت عجل عشانك بنية تمام الشفاء بإذن الله، وعشان (ليلى) برضو، الله يرحمها.. ادعيلها!!»

«إيه؟!!.. انتي عملتي كده بجد؟»

«بوص.. انت شاركتني في ثواب وقفتك جنب بنت خالتي في المستشفى واتبرعت بالدم مكاني وعشاني، يبقى إيه المشكلة لما نتشارك في ثواب الإطعام الجميل ده؟!!.. شوف الناس إزاي مبسوطة!!»

التفت إلى المحتفلين بالوليمة الكريمة، ثم التفت إلى (هند) دالفًا:

«يعني أعتبر ده وعد إنك هتفضلي طول عمرك شريكة حياتي؟»

أطالت الجارة النظر له متدبرة بما ترمي له الكلمات من معنى دفين، تمنت أن يصارحها به الحبيب بكل وضوح، ليستطرد:

«أنا محتاج أتكلم معاكي في حتة لوحدنا.. ضروري!!»

جذب ذراعها بلا انتظار لقبول، فتجاوز مدخل شقته وصولًا إلى بهو الاستقبال، تاركًا الباب مفتوحًا وقد احترم غياب (كرم) الذي اعتاد صحبة الجارين في الفترة الأخيرة..

وفي عجالة، اتخذ مجلسًا مريحًا على الأريكة، فحاملًا الأطباق الشهية، قال:

«(هند)!! أنا بكرة راجع المعادي..»

أصابت الصدمة قلب العاشقة مباشرة بلا حجاب أو درع واقٍ، فدلفت:

«ممم.. طب معلش، هو انت إيه اللي خلاك تسيب هناك وتيجي هنا من الأول؟ السؤال ده كان محيرني وبدور له على إجابة منطقية من بدري..»

«ماشي، وأنا هجاوبك النهاردة..»

«..»

«.. عارفة لما تتعودي على وجودك فيبطلوا يطمنوا عليكي في عز ما تبقي محتاجة الاهتمام والدلع؟.. طب عارفة لما الكل يبقى ضامن وجودك وكأن اللي بتعمليه عشانهم فرض وواجب، فبدل ما يقدروه، بقوا يعتبروه حق مكتسب؟.. عارفة لما الصاحب والحبيب والقريب والعدو يبقوا شبه بعض، لإن المنافق فيهم مستخبي ورا أقنعة خداعة مش عارفة تفرقي بسببها بين الحب الحقيقي والمزيف؟ أنا جيت عشان كده؛ عشان أشوف غيابي هيفرق عند مين؟ ومين هياخد باله أصلًا؟ مين هيدور عليا في وسط الزحمة؟ ومين أعمى عمره

ما هيشوفني حتى لو واقف قصاده في الصحرا لوحدي؟ كنت عايز أعرف مين هيقولي وحشتني وبحبك وعايزك معايا في الحلو والمر، ومين بيحب مصلحته معايا بس؟ (هند)!! مجال شغلي كله مصالح وإشاعات وهري كتير، كان لازم أختفي بطريقة ذكية من غير شوشرة، كان لازم أختار هنا بعيد عن الشهرة والصحافة.. حياة الفنانين مش سهلة ومريحة ومرفهة زي ما الكل فاكر.. يعني اللي يدخل المجال ده لازم يتعلم إزاي يحمي صورته وصورة أهله واللي بيحبهم، ويكون مسئول كفاية عن كل تفصيلة في حياتهم، لإن اللي عايز ينهشوا فينا كتير، ودايمًا فيه متسلق شايفنا مجرد سلم ما عندوش مانع يدوس عليه بكل قوة وجبروت وكذب عشان يوصل للشهرة والفلوس اللي مجننة العالم.. بسبب الفترة ديه، بجد عرفت الصاحب والحبيب والعدو، عرفتهم كلهم وعلمت خلاص على حبايبي الحقيقيين..»

«..»

«.. فهمتي؟»

«فهماك وحاسة بكل كلمة بتقولها.. عشان كده عايزة أقولك من بدري إني بحب___»

«كمان فيه سبب تاني جابني هنا، بس هقولهولك في الوقت المناسب يا (هند)..»

قاطعهما وصول (ألاء)، تلك التي هرولت إلى طبق (الفتة) فحملته عن أبيها وعلقت:

«بموووت في الأكلة ديه بجد، بس هشيل الطبق ده أنقنق فيه بالليل، وهشارك بابا في طبقه، أصل احنا هنفضل شركا في كل حاجة طول العمر.. أنا وهو بس.. صح يا حبيبي؟»

قبضت (هند) على كلمات تصريحها بعشقها ل(عمرو) بعدما أوشكت أن تطلق صراحهم أخيرًا، حينها دلفت الجارة مودعة:

«ربنا يخليكم لبعض يا (لولا).. خدي بالك منه كويس!! هتوحشوني، توصلوا بيتكم بالسلامة إن شاء الله!!»

عجلت من رحيلها إلى صالة بيتها، لكن بدا الضجيج والاحتفال المحيط صمتًا مؤرقًا احتل مسامع وضُلوع ذات الشعر الأحمر، تلك التي ألقت بنفسها بين جدران غرفتها بلا نية للخروج، فخطت ورق مذكراتها الجديدة وبكت محترقة:

«لا، لم أختر الرحيل يومًا، لكن لطالما اختارني الراحلون بين صفحاتهم. ترى، هل كانت تلك السطور المؤلمة نزفًا بسكين خيباتي أم هي هزيمة من هزائمهم؟ أم كلانا ذبيح في ساحة القطار وقضبانه؟»

قرأت عيناها الكلمات مرارًا وتكرارًا، لتسترسل دموعها في الانهمار سيولًا، وقد مر شريط عمرها بذكرى المفارقين، الأحياء منهم والأموات. حينها، وفجأة، شطبت المكتوب بجرة قلم فلوماستر

أسود وعريض، فرددت:

«المرة ديه لأ، المرة ديه هحاول للآخر.. مش هستسلم بسهولة، مش هسيبه يمشي من غير ما أمسك فيه وأحارب عشان نكون مع بعض.. أيوة، هحاول تاني، هحاول تاني!!»

في فجر اليوم التالي.. أمام شقة (عمرو)..

استعد الجار للذهاب إلى المسجد كعادته، وقد بدا وضع جرحه أفضل، لكنه التقى بوكيه من الورد الأبيض عند عتبة الباب، حينها قال:

«نهارك أبيض يا بنت المجنونة، يا هبلة!!»

فما أن انحنى ليحمل الورود عن الأرض، وجد ما ينتظره على الجانب الآخر من الباب، وقد كان ظرف كبير بدا ثقيلاً، فحاول أن يتكهن بما في داخله، لكن قاطعته (هند) قائلة:

«ما اسمهاش بنت هبلة، اسمها (سوسو) على فكرة، ومجاتش

تاني لأ؛ ده بوكيه الورد الأولاني بتاعها، وعشان ديه هديتك، حافظت لك عليها، كنت بسقيها وأطمن عليها كل يوم، والنهاردة كان لازم أرجعها لك قبل ما تمشي..»

«ممم.. ومارمتيهوش ليه؟»

«إنت قولتلي إن الحاجات الحلوة ماينفعش يتغدر بها حتى لو أصحابها مشيوا وبقوا فعل ماضٍ.. صح؟»

ابتسم لها (عمرو)، وقد لمح الدموع المختبئة بين عينيها، فعلق:

«شكرًا.. شكرًا على كل حاجة عملتيها عشاني!!»

«..»

«فاكرة لما قلتلك أول يوم نتقابل فيه (مش عيب نتعلم من بعض حاجة حلوة، وإني أكيد في يوم هتعلم منك حاجة)؟ أيوة، أنا اتعلمت منك كتير.. زي مثلاً طريقة عمل السوشي في البيت.. زي إزاي تكون رحيم والدنيا كلها جاية عليك، وإزاي تبقى كريم وسخي أوي

مع اللي حواليك من غير ما تبقى مستني مقابل، في حين إن انت أكتر واحد محتاج حنية وطبطبة من القريب والغريب.. واتعلمت منك إزاي تفضل طيب.. طيب أوي في وسط غابة الكل فيها شبعان وأنت الوحيد اللي صايم، بس راضي عشان مراضي ربنا ومؤمن بالخير في أقداره..»

دمعت عينا المتكلم، فدنت منه العاشقة وقالت:

«طب ممكن تفتح هديتك لو سمحت؟»

أشارت عيناها إلى الظرف الكبير، فاستطردت:

«أنا جبتها يوم عيد ميلادك واتكسفت أديهالك.. يا رب تعجبك!!»

«ممم.. بس مالها تقيلة كده ليه؟ فيها قنبلة ولا إيه؟ ههه!!»

«ههه!!.. أصل الظرف فيه حاجتين: الهدية و.. والسيناريو والحوار بتاع روايتي الأولى..»

انتبه لها مفتول العضلات، فسأل متسرعًا:

«هو (هشام) الملزق كلمك؟»

«ههه!! بصراحة أه، بس أنا سمعت كلامك وما رديتش عليه.. بص!! الرواية هتتعمل فيلم مع منتج كنت أعرفه من وقت شغلي في الميديا زمان.. دور البطل مش لايق على حد غيرك، والعمل بيحترم عقل وأخلاق وعقيدة الجمهور، ما تقلقش!!.. احكم بعد ما تقرأ الدور، ولك حق القبول أو الرفض، بالرغم إني بتمنى من كل قلبي إنك توافق..»

بعد أيام معدودة، اشترك الفنان والكاتبة في ذات العمل السينمائي، ذلك الذي حقق نجاحًا مبهرًا، لتعرض إحدى القنوات الفضائية عليهما أن يجتمعا بلقاء تلفزيوني مع إحدى المذيعات الشهيرات في مجال الإعلام..

المشهد الأخير:

«كل الصدف قدر.. وبعضها يُخلق..»

استضافتهما المذيعة بترحيب الجمهور وكل من وقف في الكواليس، لتبدأ حديثها مع (عمرو الهادي) قائلة:

«(جاري البحث).. فيلم روم كوم على أكشن على ساسبنس، ما شاء الله، ميكس جميل لقى قبول كبير من الجمهور، يا ترى بقى كان عندك توقع إنه هينجح كده؟»

التفت الفنان إلى الكاتبة التي بدت متوترة بعض الشيء، فدلف مشيرًا لها بالحديث:

«كل فريق العمل كان متفائل بالأستاذة جدًا، وأنا بالأخص.. برافو برافو عليها بجد..»

نظرت المذيعة إلى المذكورة الخجولة بعدما اكتسحت وجهها الحمرة، حينها سألت:

«سمعنا يا (هند) إنك انتي و(عمرو) كنتم تعرفوا بعض قبل الفيلم.. قوللنا بقى اتعرفتوا على بعض إزاي؟»

تنفست المسؤولة بعمق، وقد شعرت برجفة خفيفة في جسدها من أثر الاضطراب، فأمسك مفتول العضلات بيدها مطمئنًا، وأجاب بعبارة غير منطقية:

«ده السبب التاني اللي قلتلك هقولهولك في الوقت المناسب يا (هند)..»

كادت المذيعة أن تقاطعه وقد تذكرت الجارة مقولته، فعلق:

«احنا اتعرفنا على بعض في مهمة..»

اتسعت عيون المشاهدين الحاضرين في بلاتو التصوير على إثر الكلام الأخير، فظهرت علامات التعجب على وجه ذات الشعر الأحمر، ليضم حبيبها يدها إلى قلبه ويردف:

«أنا روحت أسكن جنب (هند) في مهمة استكشافية مقصودة ومخطط لها، روحت أدرس حالة حب غريبة لاقيتها في واحدة من جمهوري ومتابعيني على السوشيال ميديا.. روحت أتعرف عليها عن قرب، بعيدًا عن شاشات المحمول واللاب توب..»

قاطعته المذيعة قائلة بفضول:

«واااو.. ممم.. ولاقيت إيه هناك لما قابلتها؟»

ساد صمت مؤقت بين الحضور، وقد بدت الجارة مذهولة مما يقال، فأجاب المسؤول موجهًا حديثه إليها:

«.. لاقيتك بنت جميلة قلبها لسه طيب وحلو، ما شوهتوش الغابة اللي بقينا عايشين فيها.. كنت رايح لك عشان أدور على صديقة وجارة، زي ما بيقول الكتاب، بس القدر كان له رأي تاني وحبيتك..»

... النهاية السعيدة!!

... **تمت..**

ممم.. مهلا مهلا يا سادة!! فهذا لم يكن محض مشهد في روايتي.. ربما هي أمنية وحلم جميل.. أو رؤيا، فهكذا أتمنى من القدر..

ونعم للحديث بقية..